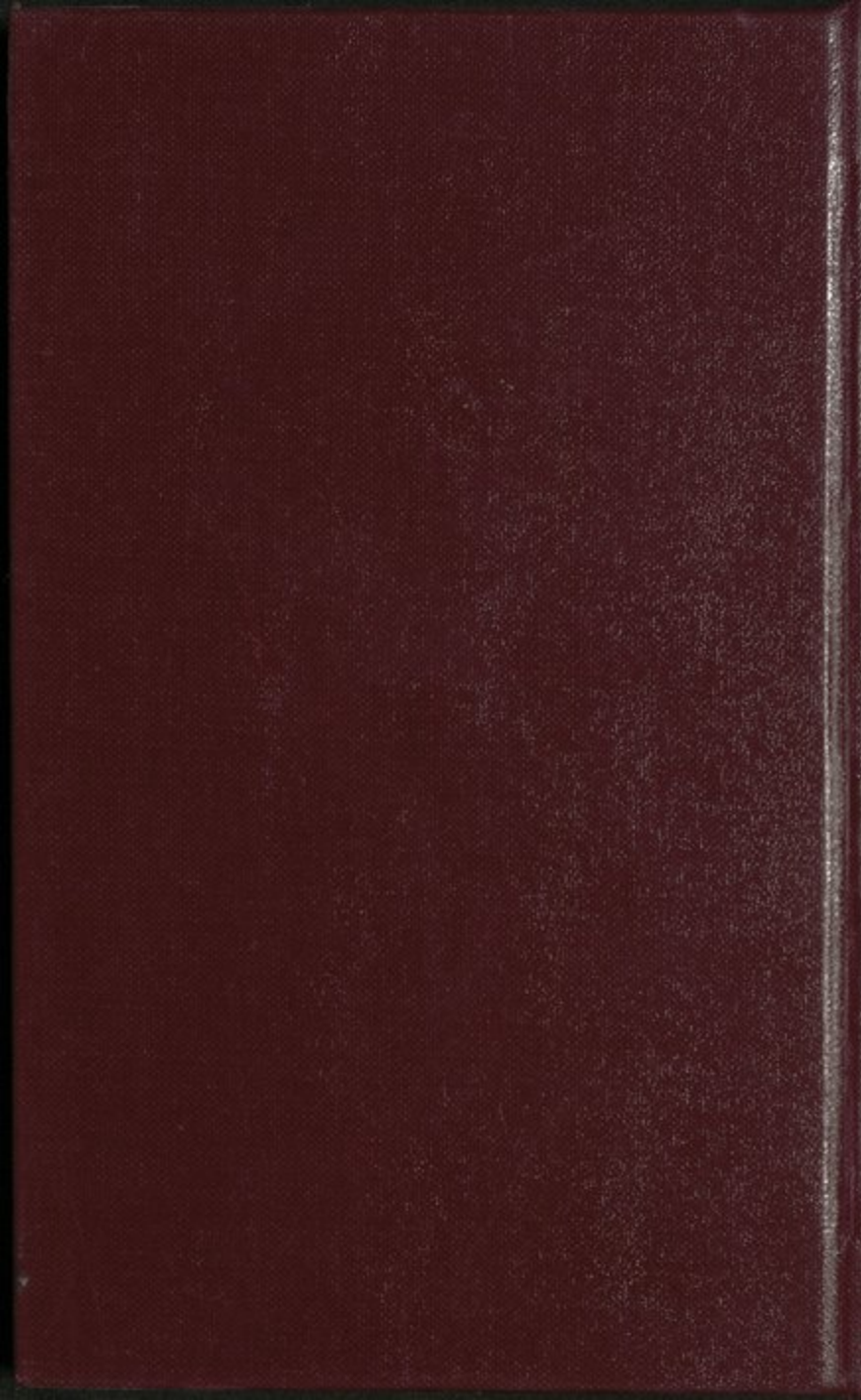


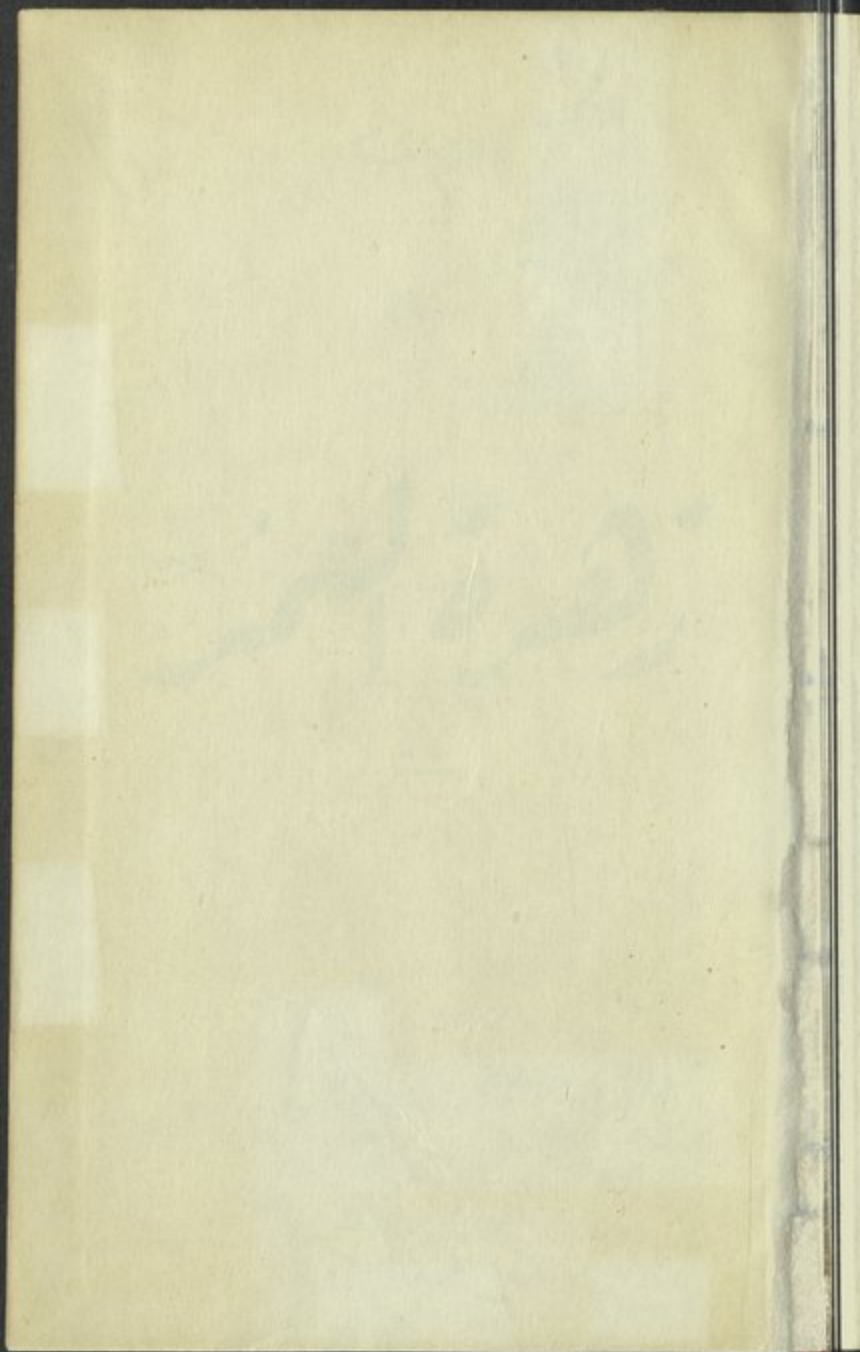


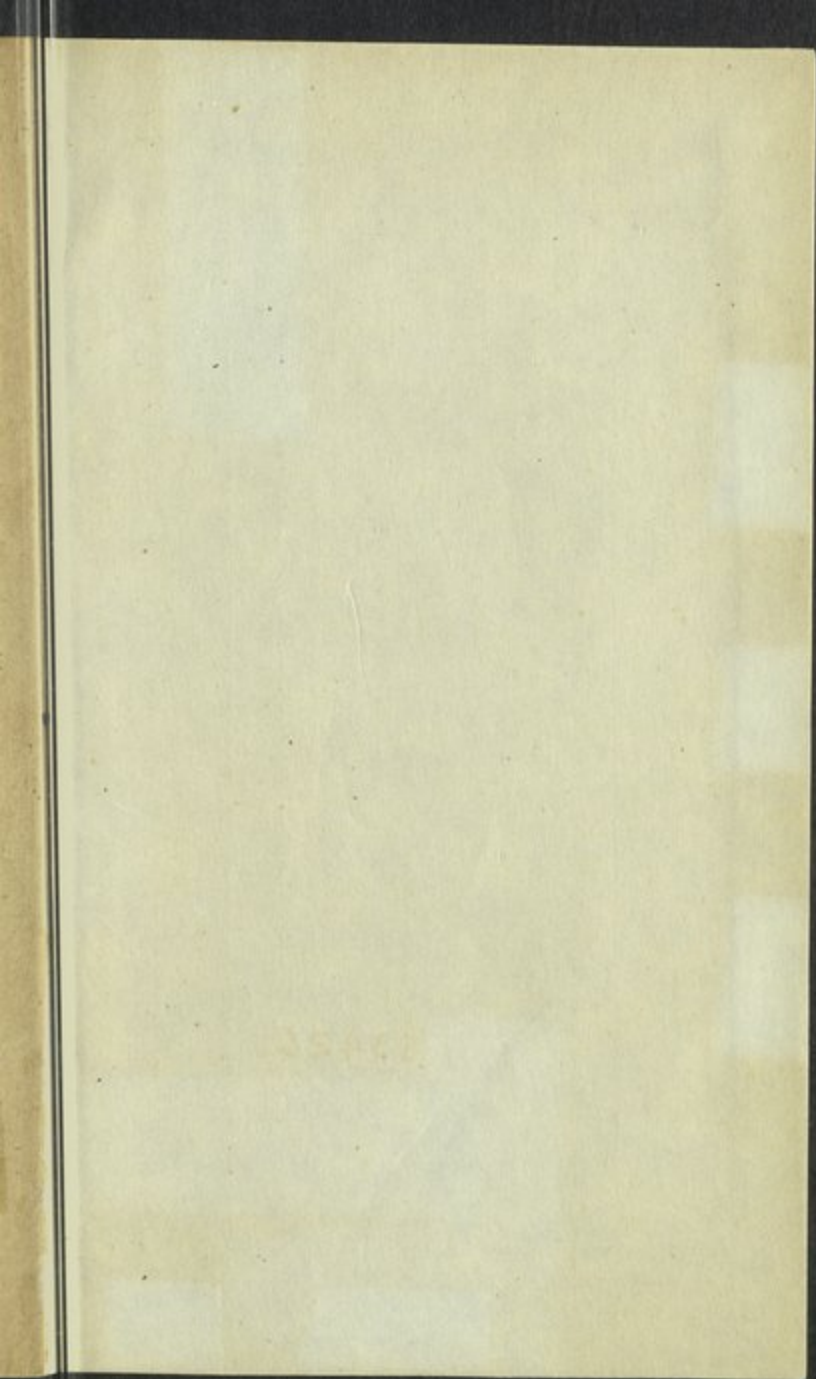
AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



A.O.B. LIBRARY







توفيق الحكيم



892.76

Ha 4382A

زهرة العمر

رسائل

59426

الناشر : مكتبة الآداب بالجاميز تليفون ٤٢٧٧٧

القاهرة
مطبعة التوكل بالجاميز

١٩٤٣

« تابع » كتب توفيق الحكيم

التي نشرت بالعربية

بالاشتراك مع الدكتور طه حسين بك (مطبعة دار النشر الحديث عام ١٩٣٦)	القصر المسحور
المجلد الثاني : ويشمل قصص : الخروج من الجنة أو المهمة أمام شبك التذاكر . الزمار . حياة تحطمت . (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧)	مسرحيات توفيق الحكيم
الطبعة الاولى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧ الطبعة الثانية مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر عام ١٩٣٨	يوميات نائب في الأرياف
الطبعة الاولى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨ الطبعة الثانية مطبعة التوكل عام ١٩٤١ الطبعة الثالثة مطبعة التوكل عام ١٩٤٣	عصفور من الشرق
الطبعة الاولى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨ الطبعة الثانية مطبعة التوكل عام ١٩٤١	تحت شمس الفكر

« تابع » كتب توفيق الحكيم

التي نُشرت بالعربية

- | | | |
|--|---|--------------|
| مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨ | { | تاريخ حياة |
| | | معدة |
| الطبعة الاولى
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨
الطبعة الثانية
مطبعة التوكسل عام ١٩٤٢ | { | عهد الشيطان |
| | | |
| | | |
| | | |
| مطبعة التوكسل عام ١٩٣٩ | { | براكسا |
| | | أو |
| | { | مشكلة الحكم |
| | | |
| الطبعة الاولى
مطبعة التوكسل عام ١٩٣٩
الطبعة الثانية
مطبعة التوكسل عام ١٩٤٣ | { | راقصة المعبد |
| | | |
| | | |
| | | |
| نشيد الأُنشاد : مطبعة مصر عام ١٩٤٠ | | |
| الطبعة الاولى
مطبعة التوكسل عام ١٩٤٠
الطبعة الثانية
مطبعة التوكسل عام ١٩٤٢ | { | حمار الحكيم |
| | | |
| | | |
| | | |

« تابع » كتب توفيق الحكيم

التي نشرت بالعربية

الطبعة الاولى
مطبعة التوكل عام ١٩٤١
الطبعة الثانية
مطبعة التوكل ١٩٤٢

سلطان الظلام

من البرج العاجي : مطبعة التوكل عام ١٩٤١

تحت المصباح
الأخضر } مطبعة التوكل عام ١٩٤٢

بجاليون : مطبعة التوكل عام ١٩٤٢

سليمان الحكيم : مطبعة التوكل عام ١٩٤٣

زهرة العمر : مطبعة التوكل عام ١٩٤٣

كتب توفيق الحكيم

التي نشرت في لغة أجنبية

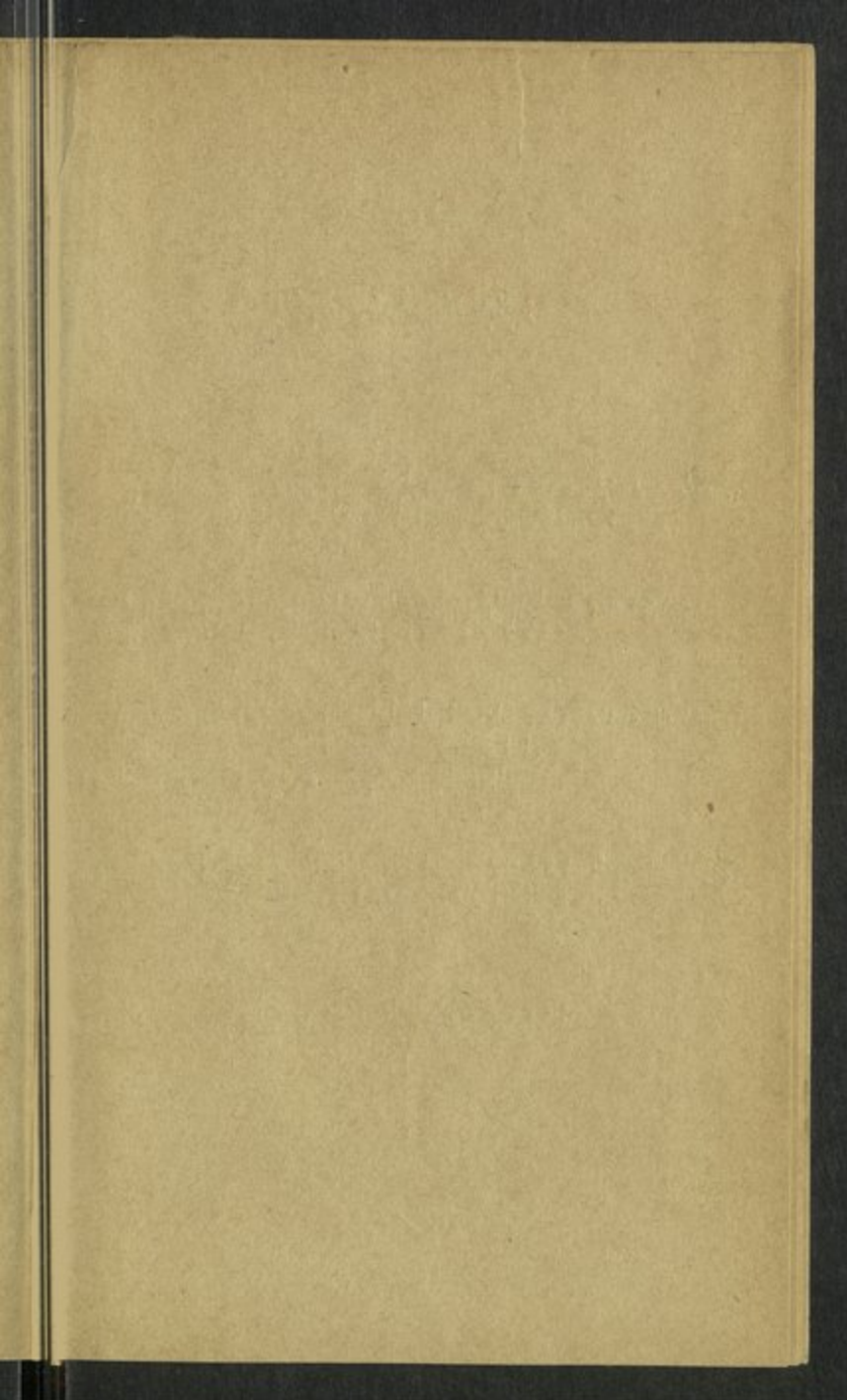
شهر زاد } ترجم ونشر في باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج
ليكونت عضو الاكاديمية الفرنسية .

عودة الروح } ترجم ونشر بالروسية في ليننجراد عام ١٩٣٥ .
وبالفرنسية في باريس عام ١٩٣٧ .

يوميات نائب
في الأرياف } ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ بمقدمة للدكتور
حافظ عفيفي باشا . (طبعة أولى)
وفي عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية)

أهل الكهف } ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخي
لجاستون فييت مدير دار الآثار العربية .

عصفور من الشرق } ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤١



مقدمة

هذه رسائل حقيقية كتبت بالفرنسية في ذلك العهد
الذى يسمونه « زهرة العمر » . وهى موجهة الى مسيو
« اندريه . . . » الذى جاء وصفه فى كتابى « عصفور
من الشرق » . وقد بدأنا نراسل بعد مغادرته « باريس »
للعمل فى مصانع « ليل » بشمال فرنسا . ولبثنا على ذلك
إلى ما بعد عودتى الى مصر والتحاقى بالسلك القضائى .
ثم انقطعت بيننا الرسائل والأخبار . وانتهى كل شئ .
وجرفنا تيار الحياة ، كل فى واديه . . . فلم نلتق بعد
ذلك الا فى عام ١٩٣٦ ، إذ سافرت لتمضية الصيف فى
فرنسا . . . وكنت قد تركت القضاء ، وصرت

مديرا لإدارة التحقيقات بوزارة المعارف ، ونشرت في
الآدب عدة كتب ... فوجدت « اندريه » قد أصبح رجلا
مهما ذا مركز مستقر في الصناعة الفرنسية . ووجدت
زوجته « جرمين » على عهدى بها ، لم ينل الزمن كثيرا من
سالف جمالها . . . ولم أر للأسف طفلها الصغير « جانو » .
فقد غدا بالطبع شاباً يسعى مع الطلاب في الحى اللاتينى ،
ويشاركهم تلك الحياة الصعبة النشيطة الهوجاء .

وتحدثنا مليا فيما فعلته الحياة بنا وعند ذاك
قادنى الصديقان من يدى إلى مكتبة الدار برياشها التى
لمست فيها حسن ذوق « جرمين » المعروف . وأشارا بزهو
من خلف الزجاج الى نسخة فاخرة التجليد من كتاب
لى ترجم وقتئذ الى الفرنسية ونشر فى باريس مقرظا بقلم
كاتب شهير من أعضاء الأكاديمية . وقالوا لى فخورين :
« هذه ثمرة جهادك الذى كنا من شهوده . . . ! »
ثم جعلنا نتذاكر الماضى ، ونحن نتناول الشاى .

فتنهض أندريه بهدوء وصمت ، واختفى لحظة ، ثم عاد إلينا
يحمل صندوقا صغيرا وهو يقول باسمنا : « لم يكن من
السهل ان ننساك أو ننسى تلك الأيام ، وهذه رسائلك
عندنا نلمح فيها طيفك ماثلا أمامنا . . أليس كذلك
يا جرمين ؟ . . » فمددت يدي الى الصندوق على الرغم
منى ، واختطفته بحركة غريزية احدى الرسائل . وطفقت
أقرأ وأقرأ . . . حتى نسيت نفسى ومن حولى والشأى
الذى أمامى . . . ولم أفطن الى تنبيه الصديق وزوجه . .
ولم أرسوى شئ واحد : هذا شبابى حقا . . . قد
انتفض ماثلا لعينى . . كيف أتركه لكما ؟ . . وتنازعنا
الرسائل . فحسمت جرمين النزاع آخر الأمر بقولها :
« إنا نشق بوعدك وكلمتك . . . خذ رسائلك اقرأها كما
شئت فى شهر أو شهرين على أن تردها إلينا بعد ذلك .
فوعدت . وحملت رسائلنى برفق وحرص وحنان كأنى
أحمل الرماد المتخلف عن « زهرة العمر » الذابلة . . .



وأنستنى شئون ذلك الصيف كل شيء . فلقد شغلت
بمن قابلت من الأصدقاء في جبال الالب ، وبما شاهدت
من مظاهر الفن . في سالزبورج ، عن التفكير في
هذه الرسائل ، فلم افتحها إلا بعد عودتى الى مصر . فكنت
كلما خلوت الى نفسى اطالع رسالة اورسالتين وأنا ابتسم ،
ثم أطوى ما قرأت وأنا أفكر فيما كان وماهو كائن . . .
لقد أصبحت هذه الرسائل لازمة لى فى وحدتى . ومرت
الشهور فى أثر الشهور . ولم أنس وعدى وكلمتى . . .
ولكن ماذا أصنع ؟ عندئذ خطر لى أن أنقل هذه
الرسائل الى العربية وأحفظها لنفسى . ولم أر بأساً بعد
ذلك من رد الأصل الفرنسى . فأخذت فى نقلها ببطء
كلما وجدت من الوقت فراغاً . ولم أردّها الى صاحبها
إلا عندما سافرت الى فرنسا لتمضية الصيف عام ١٩٣٨ .

وهكذا بقيت عندى الصورة العربية لهذه الرسائل اجيل
فيها النظر من حين الى حين . . . وأنا أحرص
عليها وأضن بها ولا أرضى أن تقع عليها عين غير
عيني . . . فهذا شئ لى . . . وهى جزء منى . . .
وقطعة من حياتى . . . هى زهرة عمرى . . .

واندلعت نيران الحرب الأخيرة . . . وانهارت
فرنسا . فتذكرت الصغير « جانو » . . . لا شك
عندى فى أنه اشترك فى هذه الحرب . . . ومن يدرى
أهو فى القتلى أم فى الاسرى أم فى الجرحى ؟ . . . انى
لم أزل اتخيله طفلا فى الرابعة يلعب أمامى فى المطبخ
بمنزل جدته فى « كوربفوا » من ضواحي باريس . . .
وانا جالس الى المائدة أتناول فطورى واقرأ كتاب
الجمهورية لأفلاطون . . . وهو يصيح بصوته الملائكى

الصغير رافعا سيفه الزائف ومصوبا مدفعه الصفيح نحو
أعداء وهميين من «البوش» الألمان ... آه ... لقد
دار الزمان . . وأصبح «جانو» شاباً قويا وقد حارب
الألمان بالفعل . . . ويا لها من حرب !! .

أما صديق اندريه وزوجته جرمين فاين هما الآن ؟
أهما بخير ؟ أم هما على ولدهما «جانو» متفجعان ؟ ! .
اللهم لا تفجعهما في ولدهما وهو في زهرة عمره . فقد كانا
رفيقى شبانى ، والإناء الذى أحاط بزهرة عمرى . . .



واليوم وقد كادت تذبل زهرة العمر بعد ان جاوزنا
الأربعين . اليوم بعد ان اعتزلت وظائف الحكومة ،
ونزلت عن زخارف المجتمع ، وانقطعت لأهيم كما أشاء
في هيكل «أبولون» . ~~مكرسا~~ مكرسا بقية حياتى للأدب
والفن . . . فانى أرجع بصرى القهقري لأرى أيام

الكد في سبيل التكوين الفني . . . ولقد أدهشني حقاً
ما رأيت في رسائل هذه : لطالما قاومت وكأخفت في سبيل
التجرد والتحرر من كل ما يشغاني عن الفن . . . وها انذا
اليوم قد انتصرت . . . نعم ، لقد انتصرت . فأنا
الآن للفن وحده . . . ولا أرجو إلا ان يكون هو ايضا
لى قليلا قبل أن ألفظ النفس الاخير .

وبعد . . . فلقد رضيت اليوم أن أنشر هذه
الرسائل ، تذكراً للصديقين اندريه وجرمين ، وتقديراً
لولدهما الشاب الباسل « جانو » ، وإشعاراً لقرائي على
نفسى . قرائي الخالصاء الذين قد يعينهم ان يطلوا على صفحة
من حياتي . على ان من واجبي أن اشير إلى اني وجدت مع
الاسف أكثر هذه الرسائل غير مؤرخ . ولم يكن في
مقدوري ترتيبها على حسب التواريخ ، ولا حتى على
حسب الحوادث ، ترتيباً دقيقاً . ولعل ترتيبى هذا هو

أقربها إلى الحقيقة والمنطق . فإذا بدا شيء من الاضطراب
في تسلسل الوقائع أو شيء من التكرار في بعض التفاصيل
فإن ذلك راجع ولا ريب إلى طبيعة الرسائل في ذاتها ،
وقد كانت رسائل خاصة لم يخطر قط على بال أحد أنها
قد تقدم للنشر يوماً . والرسائل الحقيقية ليست عملاً
مؤلفاً تأليفاً حتى يستباح فيها التنقيح والحذف والتهذيب .
فإن مزيته الوحيدة هي التشجيع على نشرها بخيرها
وشرها . وإني - توخياً للصدق - لم أحذف حتى ما
كان يحسن حذفه من عبارات أو فقرات أو حوادث قد
يعتبر نشرها ما ساء بشخص المرسل أو المرسل إليه . .

باريس - شارع بليور في . . .

عزيزى اندريه

صدقت فراستك. الخيال قد أضاعنى يا اندريه .
أنا شخص شقى . وليس الشقاء هو البكاء . وليست
السعادة هى الضحك . فأنا أضحك طول النهار .
لأننى لا أريد أن أموت غارقاً فى دموعى . أنا شخص
ضائع مهزوم . فى كل شئ . وقد كان الحب آخر
ميدان دحرت فيه . واذا كنت تسمع من فمى
أحيانا أناشيد القوة والبطولة فاعلم انى أصنع ذلك
تشجيعاً لنفسى ، كمن يغنى فى الظلام طرداً للفرع .
ها أنت ذا اليوم ترانى اكتب إليك عن القوة

والشخص القوي ، وانا بهذا أحاول أن أوهم نفسي
أني قوي . انى أشعر براحة وعزاء إذ أتحدث فى
وحدتى عن القوة . ويخيل الى لحظة انى ذلك الشخص
الذى عناه إبسن بقوله : « الرجل القوي هو الرجل
الوحيد » . . . كفى كلاما عن نفسى . انها لا تستحق
ان نتحدث عنها اكثر من ذلك . أحدثك الآن
عن احوالك انت وعن خطابك الذى صيبت على
فيه كل لعناتك . قبل ذلك اقول لك انى مغتبط
لرضاك عن عملك الجديد بمصنع « ليل » . اما اكفهرار
الجو المستمر فى هذه المدينة الشمالية فهو خير على كل
حال من اكفهرار وجه الحياة . اخبرك ان آخر مرة رأيت
فيها جرمين كان مساء الأربعاء الماضى حيث تناولنا
معاً العشاء بصحبة جانو الصغير . وسأراها يوم الأحد
القادم . فهى لا تستطيع مقابلاتى قبل ذلك اليوم
الذى تعطل فيه من مصنع كورنفوا . وليس لى

حاجة الى ان اؤكد لك شوقها الشديد إليك . هنيئًا
لك حب زوجك وولدك . النقود وصلت . ثلثمائة
من الفرنكات بالتمام . اشكرك وارجو ان لا
تستدين من غيرى ولا منى الا للضرورة . فاني أعرف
فيك الاسراف والتهور أحيانا . وحب مغازلة النساء
الجميلات . يجب ان ترعوى والا أخبرت جرمين بكل
شيء

باريس - شارع بليور في . . .

عزيزى اندريه

اشكر لك خطابك . وآسف لما سببه لك
خطابى من حزن لأجلى . ما كان لى الحق فى ان
أضيف ما بى الى ما بك . فهذا حمل ثقيل لا أرضاه
لك . انى أؤنب نفسى الآن . لقد أخطأها الضعف
إليك للتوكلؤ عليك . وفاتها ان فى ذلك ازعاجا لك .
قاتل الله الضعف . ومع ذلك ، . . . لولا هذا
الضعف الانسانى ما وجدت العواطف الانسانية
الجميلة التى تنتج احيانا الأعمال الانسانية العظيمة .
ان الضعف هو ايضا مظهر جمال فى بعض الاحيان

لا يجب ان نفسى ذلك . انه جمال الانسان الذى يمتاز
به عن آله قوى لارقة فيه ولا شعور . لماذا نعد
دائماً الضعف البشرى نقيصة ؟ ما دمنا قد وصمنا
به إلى الأبد فلنحترمه أحياناً ولنستثمره ولنحوله إلى
فضيلة من فضائل البشر . بغير هذا فان الحياة لن
تتمثل . أترانى أعزى نفسى يا اندريه بهذا الهراء
من الكلام ! . . . أترانى أقاب « الحقائق » كى أرى
الدنيا ملاءى بالحسنات والفضائل ، خليفة باحترامنا
جديرة بتحملنا الآلام فى سبيل المكث فيها ؟
لاتضحك ولا تسخر ولا تهمنى بالحق . فانك قد
تحترمنى قليلاً وتدهش لقوة احتمالى . اذا عرفت مبلغ
ما تجمع على رأسى من شقاء . ومع ذلك ما زلت
احاول انتزاع ابتسامة من شفتى الحياة . لا أريد ان
احدثك عن نفسى اكثر من ذلك . لكن . . .
فلا أحدثك قليلاً لتعلم انك بالقياس إلى أسعد

المخلوقات طرا . فانت الآن رجل ناجح في حياتك
تجد من يقدر عملك وجهدك وينقذك عليه أجراً
معقولا ، والمستقبل أمامك جلي كالنجم اللامع في
السما الصافية . وقد قلت لى ان مصانع « ليل »
تتخاطفك ، وانك ترقى درجات العمل الأولى سريعا .
ثم انت فوق ذلك رجل محاط بالحب والعطف من
زوجيك وولديك . انت محب محبوب . ومن تحب
تحرص عليك وترى فيك المثل الأعلى ، لا للرجولة
وحدها والبطولة ومكارم الاخلاق بل للجمال ايضا .
لكم أدهشتنى جرمين ذات يوم وأنا أريهما صورة
« رودولف فالنتينو » فى إحدى الصحف قائلا لها :
« إليك صورة أجمل رجل فى العالم » فقد قالت
للفور : « اندريه أجمل منه . ألا توافقتى على ان
اندريه أجمل منه ؟ » ماذا تريد أكثر من ذلك ؟
وماذا يريد انسان أكثر من ذلك ؟ انك لا تعرف

الشقاء . اما انا فاعرفه . انه فجیعة الانسان في آماله .
نحن . . . إنما نعيش داخل آمالنا . فاذا اندكت
فنحن كالنمل الشارد في الشتاء العاصف . لا تنظر
الى بعين سخريتك يا اندريه . ولا تظن انى اعنى
الحب . فلو انه هو الذى انهدم وحده عندى لما
حزنت كثيرا . ولكن كل شىء انهدم يا اندريه .
لم يعد لأيامى مذاق . فهى كلماء القراح أجرعه على
غير ظمأ . والمستقبل امامى محاط بالضباب . يحيل
الى انى هويت قبل الأوان كالثمرة التى تسقط من
الفرع قبل النضوج . أمامى برقية من أبى المسكين
يقول : « أ برق لنا فى حالة نجاحك » . كلمة النجاح
غريبة على اذنى الآن . أنا استطيع ان انجح فى شىء ؟
ان اسمى كما تعلم مقيد منذ زمن بجدول المحامين فى
بلادى . انى فى عرف القانون محام . ولكن اى محام ؟
لقد كانت فجیعة لأبى المسكين أيام ان كان يسمع

ويرى انى أنسى صفتى كحسام ، وانحشر فى زمرة
الممثلين ، أو أولئك الذين يسمونهم عندنا
« المشخصاتيه » . والحق انهم فى مصر ليسوا بعد
من الطوائف المحترمة . لقد كان ملحن روائى
(كامل الخلقى) يجلس معى على قارعة الطريق
« يدندن » ويلحن وهو عارى القدمين إلا من
« قبقاب » خشبي تلك كانت بدايتى الفنية
والأدبية . . . فى عين الوقت الذى كان غيرى يبدأ
حياته الأدبية بالكتابة السياسية ، فيظفر سريعا
بالشهرة والاحترام . ولو انى فعلت ذلك لرضى عنى
أهلى بعض الرضا . فالفرق شاسع فى مصر بين
خدمة رجال السياسة وخدمة رجال « التشخيص » !

وها أنذا لم أظفر بشهرة ولا ذكر بينما لمعت أسماء
أولئك الذين اختاروا الطريق الآخر المحترم . . .
فسهل عليهم ايضا بعدئذ كما رأيت ان ينتقلوا منه

الى الأدب . محتفظين بأثواب التجلة ومظاهر
التقدير . أما أنا الذى اخترت الفن من البداية صرفاً
صريحاً فلا استطيع ان انتقل الى شيء . . . غير
الانحطاط الاجتماعى . ولقد خشى والدى المتوجع ان
يجرفنى التيار عن حياة القضاء التى عاشها بشرف ،
فأشار عليه المخلصون ان يقصينى عن مصر فترة من
الزمان . . . فأرسلنى كما ترى الى هنا لعل أسلو
الفن وانصرف الى ما يتمناه لى من حياة قانونية
قضائية محترمة . فإذا انا قائل له الآن ؟ وبماذا أرد
على برقيته ؟ . . ثم أمامى خطاب ممن احببت
وأوهمتنى بنعيم دام اسبوعين ، تكشف لى فيه عن
المهزلة . ولم تترفق فتترك لى حتى ذكرى تلك
الأيام القليلة سليمة جميلة . لقد شاءت ان تسرد
كل شيء حتى الأوهام والأحلام ، فجردتنى منها
بعبارة واحدة : « أتمنى انى ما عشت قط هذين

الأُسبوعين . يا آلهى الى هذا الحد ! وهاهى ذى
تغنى اليوم لرجوع كل ود بينها وبين حبيبها الحقيق .
أسمع غناءها من نافذة حجرتى فاضحك . . . لكن
أى نوع من الضحك ؟ ثم أمامى قصاصات من نقد
صحف مصر لرواياتى التى تمثل فى القاهرة ، فإذا انا
موضع السخرية . ودراساتى التى لا تؤدى إلى نتائج .
وشراحتى فى المعرفة التى تسبق قدرتى الذهنية وقوتى
الجهمانية ووقتى المادى . كل شىء حولى يهدمنى
هدماً . . .

٣) باريس - شارع بليود في . . .

عزيرى اندريه

معذرة لأبطائي عليك في الرد . فلقد اصبحت
يبرد وسعال أقعدنى في الفراش أياما . وأنتهز هذه
الفرصة لأبلغك شكري الخالص لجرمين على قلقها
وعنايتها . . . كما اخبرك أيضا انها دعتنى بعد ذلك
الى وليمة عشاء بمسكنها حيث نصبت المائدة الى جوار
المدفأة . لن أنسى مطلقا ذلك الحساء اللذيذ (كريم
فرميسيل) . اهنتك باستكشافى فى جرمين ، فضلا
عن ذكائها وأدبها وخلقها . ذلك الفن الجميل المفيد :
فن الطهى . . . ثقت انها طاهية من الطبقة الاولى .

انها تستحق « الكوردون بلو » . هل ذقت فطير
الأرز من صنعها ؟ واأسفاه ! كان بى ما يزال أثر
المرض فلم أهاجم على هذا اللون الا هجوما رقيقا
على الرغم منى . اكرر شكرى لجرمين على هذه
الوليمة وعلى تلك الغلالة الحريرية التى اعارتنى اياها
لأجعلها حول عنقى خوف البرد . جانو يقبلك وقد
قبلته عنك ... ؟

باريس — شارع بلبور في . . .

عزبى اندريه

لم اكتب اليك ولا أدري لماذا لم تكتب الى
انت. لعلك كنت تنتظر ردى . وردى لم أجده
قيمة ولا فائدة لان كتابك الأخير لم يكن فيه ما
يوجب الرد . أما جرمين فهى على ما تروم . وكذلك
جانو . وقد قابلت جرمين منذ ثلاثة ايام . وليس
عندى ما أقوله . أما أنت فقد اثبت لى ان مقامك
فى ليل بعيدا عن نحب قد كشف عن رقة فى
مشاعرك لا اعهدك بها خليقا . اخشى أن أقول ان
قدمك كادت تنزلق الى شاطئ الخيال الذى كنت

تسخر منه / لا تهزأ قط بالحب والخيال . هانت ذا
تستطيع ان تحدثني اليوم عنهما اكثر مما تستطيع
انا . نعم ، لقد كان يخطر لي احيانا ان الحب هو
العمود الفقري للكون . وان الله كي يقيم القيامة
وينهى الحياة لن يأمر اسرافيل بنفخ الصور (كما
يقولون عندنا) بل سيأمر « الموت » لهوى بفأسه
على « الحب » . وبموت الحب في الأرض ينتهى العالم .
تصورت ذلك ذات ليلة وانا في فراشى اطالع تاريخ
المذاهب الاقتصادية . ولقد تركت اوراقها تسقط من
يدى لاغرق في تفكير عميق حول مسألة بعيدة
كل البعد عن تاريخ المذاهب الاقتصادية . على انى
الآن انقض هذا الخاطر . ونحيل الى ان الحب في
هذا العالم عضو سوف يتمكن العلم الحديث من
بتره واستئصاله دون ان تخسر الانسانية شيئا كبيرا
ما رأيك يا اندريه ؟ اريد رأيك في هذا لأن رأيك

ذو قيمة كبرى . فهو صادر عن منطق طالما انكر
سلطان الخيال ! / اما انا فقد انكرته أو على الأقل
سائر في طريق انكاره والايمان بالواقع . الدليل : انى ارغم
نفسى الآن على الاستعداد للتقدم لامتحان الدكتوراه
في القانون ، ارضاء لأهلى ... لاشىء يعوقنى عن النجاح
غير طبيعتى التى خلقت لأضياع فى الفضاء لا للوقوع فى
قيود الدكتوراه وحدود المعارف الجامعية . نفسى
قد خلقت لتقرأ ما تريد وقما تريد . لتحيط علما
بكل شىء وتسعى الى تأمل كل شىء وتستبقى فى
الذاكرة ما تشاء وتنسى ما تشاء . اما تتبع دراسة
منتظمة لجزء معين بالذات من العلوم يستذكر
استذكارا ليستفرغ بعد ذلك استفرغا بين يدي
ممتحنين ومخلفين ... ؟ ! هنا كل المشكل يا صديق
اندرية ... ؟

باريس - شارع بلبور في . . .

عزيزى اندريه

وصلتني رسالتك وأعجبت جدا بتلك الطريقة
المدهشة التي جعلتني اعتقد ، ولمدة خمس ثوان فقط ،
اني امتلك ثلثمائة فرنك . ولما يمضي الوقت الكافي
لشكر الله وشكرك . بل لما يمضي الوقت الكافي
للتفكير في مصدر هذه النقود . لقد أعطيتني
الوقت الكافي لأفرح قليلا . ثم لم تهلني وصدمتني
بالواقع : وهو ان تلك الثلثمائة من الفرنكات ليست
فقط « غير ملكي » انما هي « طعم » لاستقرار
مائتين من جيبي ! واهالك ايها الشيطان ! على اني

غير حاقد عليك ولا ناقم . فحفظك حسن . اذ قبل
ورود خطابك كانت نفسى مستعدة لتقبل مثل هذا
الخطاب . وتفصيل الأمر انى البارحة قابلت جرمين
وتحدثنا فى أمور شتى فهمت من خلالها ان قسط
ايجار مسكنها سيحل فى منتصف هذا الشهر . ومع
ان هذا الأمر لم يكن موضع اهتمام لديها ولا لدى
أثناء الحديث . الا انه جعلنى افكر بعد مغادرتها
فى مصدر النقود ، وفى حالتك وما يجب فعله إذا
اعلنت افلاسك . ولما كنت أعرف من علم
الاقتصاد السياسى ان الضرائب غير المباشرة عند
اصحاب المذهب الزراعى تقع غالبا وأخيرا على رأس
المالك العقارى . فقد خطر لى انى انا فى هذه المسألة
بمثابة المالك العقارى . بمعنى ان كل افلاس أو كارثة
لا بد ان تقع ويجب ان تقع على رأسى غالبا وأخيرا .
هذا هو سر تقبلى رسالتك بصدر رحب على غير

العادة . وقد نفذتها أو سأقوم بتنفيذها بلا تضجر
ولا تبرم . فانا أحب أن تعرف اني لا أثور ولا
أعنف الا عند عدم اقتناعي بصواب ابواب الانفاق .
اسرافامك او جنونا أو اعتمادا على سهولة الاقتراض .
وبعد فاني سأرى جرمين مساء الجمعة القادم كي نذهب
معالمشاهدة رواية جديدة في مسرح الحى . وارجو منك
ان تدع جرمين تفهم ان صلتى بها لا تستمد قوتها
من صداقتى لك . انما هى صداقة أخرى مستقلة تقوم
على احترامى لشخصها وتقديرى لذكائها . فانا لا
أحب لجرمين أن تفهم انى موفد من قبلك لأخرجها
للزهوة بين آن وآن . ولا انى أتكلف هذا قضاء
لواجب من الواجبات . على انى قد ضحكت كثيرا
وأنت تخبرنى فى خطابك انها ان تنسى ذلك
التفانى منى فى خدمتها وانها لا تشكو الامر
واحدا : هو انى لم أحاول قط مغازلتها ! يا لظرف

الباريسيات ! أو كانت تظن انى وأنا الشرقى أجرؤ على
ذلك فى غيبتك ؟ أفهمها أنى سأحاول ذلك مرة فى
حضرتك . لتعلم أنى لست ممن يستهين بجمالها . ومع
ذلك فهى لا تجهل أى سرور أجنيه وفائدة لا تقدر ان
يتاح لى لقاءها من حين الى حين . فانك لن تتصور
مقدار ما يحدثه جلوسى إليها من نتائج فكرية .
انك تعرف مقدار فائدة المرحوم إيفان لى وفائدة
الشاعر البارناسى الهرم ... ها انت ذا ترى ان كل شىء
يدفع ثمنه فى هذا الوجود . وان ما تحسبه خدمات
أقدمها إليها لا يعدل ما تؤديه هى الى . وما تؤديه
أنت أيضا : من فوائد الى شخصيتى وهى فى سبيل
تكوينها . لا تسخر ولا تتهمنى بالاسراف فى الخيال .
كلا يا اندريه . غدا تزول الحاجات المادية ولن يبقى
لنا غير ذلك الربح المعنوى الذى اكتسبه أحدنا
بمعرفته الآخر .

وختلما أقول لك ان احوالى التى تريد ان
تصنى الى انبائها سوف احدثك عنها فيما بعد . وأما
روايتى التى كتبت منها قليلا فقد اهملت شأنها منذ
شهور . وقد انتهت رأتى الى استحالة المضى فيها وأنا
فى هذه البيئة الأروبية العاصفة . هذه البيئة الحديثة

وما يسود فيها من جو « المودرنزم » يفسد حسن
فهمى للأشياء ويحول دون تعرفى حقيقة شخصيتى
فى الفن والأدب ~~أنا أحب~~ « المودرنزم » وأخشى
ان أقول لك انى أقلد أساليبه على الرغم منى . وهذا
بالذات ما يخيفنى ويدعونى الى التريث حتى تهدأ
عاصفة هذا الفن الحديث ونعرف الى أى حد يستطيع
أن يثبت الى جانب الاساليب التى اعترف بها
التاريخ . لقد شاهدت فى المسارح أخيرا قصصا
تمثيلية على طراز النزعة الحديثة مثل قصة
au grand large . كلما شاهدت قصص ما قبل الحرب

١٩٤٠ - ١٩٤٥

١٩٤٠ - ١٩٤٥

مثل «الماضي» لبورتوريش و «الجدول» لبيري فولف
واطلعت على رأى النقاد فى ذلك. أتدرى ماذا فضل
النقاد؟ انهم فضلوا قصص (ما قبل موجة المودرنزم)
ورأوها هى الخليفة بالبقاء ... ؟

باريس - شارع بلبور في . . .

عزيزى اندريه

لست أدري أمن سوء حظى أم من حسنه
انى أعيش الآن فى اوروبا وسط هذا الاضطراب
الفكرى الذى لم يسبق له مثيل ~~في~~ فهذه الحرب
الكبرى قد جاءت فى الفنون والآداب بهذه الثورة
التي يسمونها « المودرنزم » فكان لزاما على أن
أثأثر بها . ولكنني فى الوقت ذاته شرقى جاء ليرى
ثقافة الغرب من أصولها . فأنا موزع الآن ، كما
ترى ، بين « الكلاسيك » و « المودرن » . لا
استطيع ان أقول مع الثائرين فليسقط « القديم »

لأن هذا القدم أيضاً جديد على ... فأنامع
 أولئك وهؤلاء ... إني أخرج مثلاً من متحف
 اللوفر متحمساً لأعمال « تسيان » و « دافنشي »
 و « فلاسكز » و « جويلا » و « مملنج » و « فان ديك »
 لأدخل بعد ذلك توأمعرض الخريف أشاهد أحدث
 لوحات الفن الحديث بألوانها الصارخة « الفاقعة »
 وخطوطها البسيطة العارية . إن الفكرة المسيطرة
 على الفن الحديث هي : الفطرة والبساطة . يطلبون
 في الفطرة والنضارة . ويذهبون في البساطة إلى حد
 التركيز . لقد غالوا في التركيز لدرجة المناداة بفصل
 عناصر كل فن عن الآخر فصلاً تاماً . فالتصوير
 وهو فن الألوان يجب أن يستغنى عن الموضوع .
 لأن الموضوع من عناصر القصة . والشعر وهو فن
 الشعور يجب أن يستغنى عن العقل الواعي (مذهب
 الهادانزم) . والموسيقى وهي فن الأصوات يجب أن

تستغنى عن الشعور. والنحت وهو فن الأحجام يجب
أن يستغنى عن الأفكار... الخ... وهذا قليل
جداً مما جاءت به نظريات «المودرتزم». ولا أحب
الاسهاب فيها لأننى أكره النظريات فى الفن. فالفن
عندى خلق انسانى جميل لا أكثر ولا أقل. وقد
يكون فى المودرتزم نفسه. على الرغم من نظرياته.
بعض جمال. ولكن ذلك لن يدعونى مطلقاً إلى
النسباء بسقوط «رفاييل» و «لافونتين»
و «بيتهوفن» من أجل ثورة تنادى بها طائفة تحاول
بأى ثمن الاتيان بجديد. لقد قرأت أخيراً لكتيبة
فرنسية «مودرن» تقول عن حركة «المودرتزم»
مامعناه: ان بعد عشرين قرناً من حضارة مفعمة
بالوان البراعة الذهنية والحدلقة الفكرية وحياة
الصالونات والأكاديميات، غدت الدنيا مثل غانية
عجوز مفرطة فى الزينة والبهرج والأصباغ بمقدار

بعث في الناس عطشاً إلى عصور الفطرة الاولى
بناسها العراة وإحساسها المجرد . وان قيمة الفن
الحديث هي في أنه يحاول أن يعيدنا إلى النضارة
الفطرية البدائية وإلى مصادر الالهام الاولى » .
قول هذه الكاتبة صحيح . فان مصادر الفن الحديث ،
سواء في الروح أو في الاسلوب ، مستمدة حقاً من
الفنون الاولى مباشرة . إن أثر مصر القديمة ظاهر في
العمارات الحديثة والنحت الحديث . بل ان الامعان
في طلب الفن الفطري وصل إلى حد استلهاهم فن
الزنوج . إن أثر الفن الزنجي واضح في التصوير
الحديث والموسيقى الحديثة والرقص الحديث .
سأحدثك في رسالة أخرى عما سمعت أخيراً
من موسيقى . إني لا أترك الآن أسبوعاً واحداً
دون أن أذهب إلى قاعة كونسير « بلييل » أو إلى
كونسير « كولون » أو « بادلو » . بل إني أحضر

حفلتين أحياناً في يوم واحد . ولقد حضرت الاسبوع
الماضي ثلاث حفلات موسيقية في يومى السبت
والأحد . فقد أدوا فى الأولى : « ذهب الرين »
لفاجنر . وفى الثانية « السانفونى فانتاستيك »
لبرليوز . وفى الثالثة « السانفونى » السابعة لبيتهوفن .
سوف أحدثك أيضاً عن الموسيقى الاسبانية وقد
حضرت فيها حفلتين إحداهما للموسيقى « هافتلر » . كما
إنى أحدثك عن الموسيقى الروسية بعد أن سمعت
للمرة الثانية « سادكو » لرمسكى كرساكوف ...
على ذكر « فاجنر » وصداقته المعروفة للفيلسوف
« نيتشه » كدت ألمس بنفسى أثر تلك الصلة الفكرية
بينهما وأنا أضفى إلى نغمة « سيجفريد » المتكررة ...
تلك التى يسمونها *Leitmotiv* ... ان استخدام
« فاجنر » لنغمة واحدة بالذات يطلقها رمزاً لكل

يُطْل من أبطال « أوبراته » ويجعلها تعود كلما عاد
البطل إلى الظهور ، لتذكّرني بكلمة « نيتشه » :
هنالك حادثة متكررة تعود من آن إلى آن في
حياة كل انسان « ... ؟

باريس — شارع بلبور في . . .

عزيزي اندريه

أرسل اليك ما كتبتك من الرواية منذ شهر
وهو كما ترى فصل وشيء من فصل . اقرأها واخبرني
برأيك . وثق كما أخبرتك انه ليس في عزمي مطلقاً
أن أتم هذا العمل رواية كاملة للأسباب التي
ذكرتها لك . وأزيد عليها سبباً آخر : اني لا أدري
بأي أسلوب بدئت وبأي أسلوب تختم . فأسلوبي
الآن خاضع لتطورات سريعة مستمرة . ولقد سبق
لك أن اطلعت على قطعة « الحلم » التي أرسلتها

عند السيد
في شارع
بلبور

اليك وهي تختلف في أسلوبها عما ستقرأ من هذه
الرواية . على أن الذي أرجوه منك هو أن تعيد إلى
المخطوطة بعد قراءتها لأنى لا أملك نسخة
أخرى... م

باريس — شارع بابور في . . .

عزيزى اندريه

نفذت طلباتك بالتمام ، وعلمت أن جرمين لم
تبطيء عليك في رسائلها عن قصد سوى . . لا تجعل
الخيال يضلك أنت أيضاً أيها المتشدد بكلمة
« الواقع » ! آه الآن فهمت أنك كنت ظالمى
بسخريتك من حبي المنحوس وعواطفى وخيالى ؟ ..
لقد انتقم لى القدر !

والآن دعك من تفاصيل الحياة التافهة .
حدثنى بخطرات بعيدة عن التفاصيل . خطر
منبعها تفاصيل وليس فيها تفاصيل . ماقيمة التفاصيل

في هذه الحياة إن لم تكن لاستخراج قوانين عامة
أو أفكاراً جميلة؟ يسرنى كثيراً أن أراك قد هدأت
لنسترجع فيك « اندريه » الواقعي الرزين المازح .
أما نواحي ضعفي التي أشرت إليها فاني أحب أن
أعرفها واضحة جليلة وإلا فلست لي بصديق . وأما
الموسيقى فقد سمعت في السبت الماضي « السانفوني
دومستيك » لريتشارد سترأوس . و « أغاني الأناضول »
لموسيقى تركي هو « جمال راشد » . وقد سررت
كثيراً بهذه الأغاني لأنني استطعت أن أتنبأ بحالة
موسيقانا القومية في مصر والشرق لو وضعت داخل
هذا الإطار الفني L'orchestration ويظهر لي أن جمال
راشد قصد إلى ذلك . غير أنه فيما يخيل إلى قد
أسرف في تقليد الموسيقى الروسية فلم أتمكن من
تعرف ملامح الموسيقى التركية في صميمها إلا في
قطعة واحدة .

ولقد ذهبت أمس « الأحد » إلى اللوفر
كمادتى . وإنك تعلم لماذا أواظب على الذهاب إلى
اللوفر كل أحد . فهذا هو اليوم المخصص للدخول
بالمجان . وإنى لا أنفق طول يومى هناك دون أن
أحس مر الوقت . بل إنى أدركت منذ أسابيع
خطأ التوزيع بين قاعات المتحف فى يوم واحد .
ذلك شأن المشاهد السريع . أتدرى ماذا أصنع الآن
يا أندريه ؟ إنى أخصص يوما كاملا للقاعة الواحدة .
فأنا لست سائحاً متعجلاً . انى أبحث أمام كل لوحة
عن سر اختيار هذه الألوان دون تلك . وعن
مواطن برودتها وحرارتها . وعن رسم أشخاصها
وبروز أخلاقهم واتساق جموعهم وحركاتهم
وسكونهم . كل لوحة فى الحقيقة ليست إلا قصة
تمثيلية داخل إطار ، لا داخل مسرح ، تقوم فيها الألوان
مقام الحوار . إنى لا كأدأصغى إلى أحاديث الأبطال

وعم على الموائد في أفراح « قانا » لوحة « فيرونيز »
وأكاد أسمع ضجيج الحاضرين وصياح الشاربين وورنين
الكؤوس وخرير النبيذ يفرغونه من دن إلى دن .
إن طريقة إبراز كل هذه الحياة بالريشة لقريب من
طريقة إبرازها بالقلم . أن أساس العمل واحد فيهما :
الملاحظة والاحساس ثم التعبير بالرسم والتلوين . بل إن
الروح أحيانا ليتشابه . لطالما وقفت عيناى طويلا على
صفحات ناثراً وشاعر : وانا كلما أخذ : أفحص السطور
بيدى لا تبين ان كانت من مداد أو من أثر . ان روح
الكاتب أو الشاعر لتشف أحيانا وتخف وتتحرك في
الأجواء بلطف كأنها نسيم راقص ... هذا الشعور
ملاً نفسى وبصرى أمام لوحة مثل لوحة « الربيع »
لبوتيتشيللى التى يصور فيها رقص « الحسان
الثلاث » فى غابة البرتقال و « فينوس » قربهن تتبع
بيدها وقع الخطى . و « الذسيم » من حولهن يعانق

الأزهار... أو مثل لوحة موريللو عن « صعود
العذراء » وهي في جمالها الطاهر تحترق السماء وفي
ذيها القمرو من حولها الملائكة... ان الشعر والرقص
والموسيقى ليتناثر أريجها مجتمعة في جو مثل هذا
الفن العظيم... م

باريس — شارع بليور في ...

عزيزى اندريه

سررت لخطابك الضخم الذى انهات على فيه طعنا
وتقطيعا وتجريحا . ولا أستطيع كيف أشكر لك
عنايتك بتحليل شخصيتى المذكودة . ومع انك تزعم
ان قسوتك كان الدافع إليها الانتقام فهذا عندى لا يغير
شيئا من جوهر الموضوع مادامت النتائج التى وصلت
إليها صحيحة . نعم ان خيالاتى الكثيرة التى أحيا
بينها تسبب لى تارة الآلام ، كما تقول ، وتارة
الأحلام التى لن تتحقق يوما . هذا صحيح .
واكثر منه يا اندريه / ان خيالى مع الأسف ليس

من نوع الخيال المتمر الذي خدم الشعراء والكتاب
بل هو من نوع الخيال المهلك الذي أضاع في وديانه
السحيفة كثيرا من عارى الحظ الذين حسبوا أنفسهم
شعراء زمنا طويلا وهم ليسوا بشعراء . ثم هناك
شيء آخر أخذك لم تلتفت إليه هو طبيعتي التي تميل
إلى عدم الأخذ بما يأخذ به الناس جميعا من أوضاع ،
هربا من الوقوع في الابتذال وشغفا جنونيا بالتميز
والأغراب . ففي لبسي لا أرتدى كما يرتدى الآخرون
ولا ادخن لأن التدخين عادة عامة . وربما دخت
لو انقطع الناس عن التدخين . لا أهدي إلى حبيبتي
الأزهار الجميلة ولا العطور اللطيفة بل أهدي إليها
بيغاف في قفص . ولا أكتب إليها مباشرة عن الحب
بل اتبع طرقا لن يتبعها عقلاء الناس . وتسألني
بعد ذلك لماذا أحب «المودرنزم» ؟ أليس لأنه أقرب
الفنون إلى الخروج على المتبع المألوف ؟ لقد قالها أحد

النقاد الحاقدين على هذا الفن الحديث : « ان أهل
 هذا الفن يأتون كل سخيـف مهجور بحجة حرية
 الابتداع والتفنن في الابتكار » . الواقع اني وجدت
 في هؤلاء : لا فقط مأواى ومعقل . بل وجدت كل
 طبيعتى وما تنطوى عليه من حمق وجنون . لقد
 وجدت على الأقل سندا وأساسا لرغبتي المحرقة في
 الخروج على ما أسميه « المنطق العام » . وأقصد
 المنطق المبني على فروض عامة مصطاح عليها غير
 متنازع في صوابها . كالفرض بأن الغيرة مثلا دليل
 الحب أو أن الخيانة رذيلة . فالنتائج المترتبة على هذه
 الفروض العامة تكون في الغالب هي الأخرى نتائج
 عامة . ويصح عندئذ تسمية كل ذلك بالمنطق العام .
 أريد أن يكون هنالك منطق خاص ، يحوى فروضا
 خاصة لا تخضع للمألوف من الآراء والمشاعر . كالفرض
 بأن الحب لا يحوى غيرة مطلقا ولا بغضا مطلقا .

ومن مثل هذه الفروض تتولد نتائج خاصة . ومن خلاصة كل ذلك يقوم ذلك الذى أسميته (المنطق الخاص) ... لذلك تجدنى أفهم حركة « المودرنزم » على الوجه الآتى : هى اتجاه إلى عدم التقيد بالمنطق العام والنزوع إلى المنطق الخاص . كما كان « الرومانزم » بالنسبة إلى (الكلاسيسينزم) فى بعض مظاهره نزوعاً فى التفكير والعواطف من العام إلى الخاص . مع هذا الفارق فى نظرى بين الرومانزم والمودرنزم : ان الأول لم يحاول هدم الفروض الأساسية المألوفة أى المنطق العام . فى حين أن الثانى ينحو إلى هدم هذه الفروض العامة واحلال فروض خاصة فى مكانها أى إنشاء منطق خاص . سواء كان هذا التفسير صحيحاً أو غير صحيح فهو كلامى الذى يعكس طبيعتى الآن ورغباتى الحاضرة . انه عقيدتى الخاصة فى هذه الأيام لا بالنسبة إلى المودرنزم بل بالنسبة الى نفسى .

صدقت يا اندريه في قولك اني اُصلح أن اكون
رياضياً وان افكارى وتصرفاتى تكاد تسير على طريقة
هندسية أو حسابية أو جبرية . هذا صحيح .
ولا أدري كيف اهتديت إلى ذلك . انا مع الأسف
كذلك . وهذا ما سوف يهدم كل عمل مسرحى
أو فنى أحاول انشاءه . ان اسقاطى الحياة والعواطف
كما هى وكما يراها ويحسها دهاء الناس ، وركونى إلى
الطريقة الرياضية في تصريف افكارى وتأملاتى
لمصيبة كبرى . وإليك دليل آخر في قطعة (الحلم)
التي أرسلتها إليك . انك ولا شك لم تجد فيها أى
صورة تنطبق على الحياة وعواطف الحياة ، ولكنك
قد وجدتها متمشية مع العقل والمنطق الذى تقتضيه
فروض خاصة انشأتها انا في البداية . تلك هى
الرياضة : فرض وعقل ومنطق . التصوير الحديث
أخرج من حسابه العواطف البشرية وجعل

أساسه الهندسة والمنطق العقلي الواعى وغير الواعى
والموسيقى الحديثة أيضا... يا للبلاء ! انى أحب الفن
الحديث وأقلده أحيانا وأخشاه وأخشى منه على
نفسى... ٩]

حاشية - أ كثر من رسائلك يا اندريه فهى متعق
الوحيدة الآن . فأنا محبوس فى حجرتى أستعد
لامتحان الدكتوراه فى أول مارس القادم ... ؟

الوحدة . وكان انت ذكرت لك كلمة « ايسن » :
« الرجل القوي هو الرجل الوحيد » : وتحاشيت
أن أثير فيك الذكريات الجميلة والتحرق على السعادة
التي خلفتها في باريس . أجل يا اندريه : لقد كنت
قاسيا عليك قسوة الطبيب الذي يمنع الماء عن مريضه
الظما آن بحجة الطب والتطبيب . مهما يكن المنطق
يبرر هذا الجرم فان ضميري غير مقتنع . وقد لعنت
نفسى لما سببته لك من ألم . انك تعرف أنى بطبعى
لست ممن يقفون عادة مثل هذه المواقف نحو
المواطن () انى أحب الحب . وانك لتعرف أن
للحب مقاما كبيرا عندى فى الحياة . فى كل حياة .
وربما كان الحب هو الشئ الوحيد الجميل الذى نعيش
به ومن أجله نحن البشر () آه لو كان القدر أعطانى
هذه المنحة لحظة واحدة ! وجعلنى أجد أحدا يحبنى
حقيقة مرة واحدة ! أنا الذى اعتقد طويلا أن

عظماء الرجال هم عظماء المواطنين وأقوياء الرجال هم
أقوياء المواطنين . ان الذى لا يعرف ولا يستطيع أن
يحب انسانا لن يعرف ولن يستطيع أن يحب
الانسانية . لقد كان آلهة اليونان يحبون ويتألمون وهم
آلهة . وهم رمز القوة . ان الحب والقوة لا يتعارضان .

ولماذا لا نقول انهما فى عين الطريق يسيران ؟ ليس
عبثاً أن تقوم المسيحية على فكرة حب الله مريم
وايجاد عيسى ثمرة لهذا الحب . ان المعانى التى يمكن
استخراجها من هذا الرمز لا حدها .

لست انا اذن يا اندريه الذى يعيب عليك الاسراف وعثرة
فى حب زوجك وولذك ! وبعد ... فقد مضت أيام لم
أر خلالها جرمين وجانو لأننى كما تعلم سجين حجرتى
أطالع وأدرس . ثم لسبب أشد وأمر : الافلاس .
نعم غطاني بردائه الاسود فلم يبق معى غير ثمن
شريحة اللحم . (على حد قولك) من أرد انوع ... ما

حاشية — بعد أن ختمت هذا الخطاب وصلاني
الآن بالبريد السريع رسالة من جرمين داخلها ورقتان
ماليتان بمبلغ عشرين فرنكا (على سبيل الاعانة) كما
تقول . وهو كل ما استطاعت أن تنقذني به . واني
أشكرها وأسأل الله أن لا يوقعها فيما أنا فيه ... ؟

توفيق
توفيق الحكيم

- ٦١ -

باريس — شارع بلبور في ...

عزيزى اندريه

وصلنى خطابك ومعه مبلغ الأربعمائة الفرنكات
وانى أشكرك . الآن تستطيع أن تطمئن على
هدونى مدة شهر ، على شرط أن لا تسمعنى أنت
ذكر النقود . حبذا لو نسيت استعمال هذه الكلمة
الملعونة بعد الآن فى رسائلك إلى ! أملي كبير فى أن
تحقق رجائى ولا تطلب إلى بعد اليوم سنتيما . تلك
يا اندريه هى الطريقة الوحيدة لتصحيح مركزك
المالى ومركزى أنا أيضا . أنا كذلك لن أطلب
عندئذ سنتيما من دائنى . سأعطيه ما أعطيتنى اليوم

وأقسط الباقي . كما تصنع معي . وبذلك أضمن لك
وأضمن لنفسى تصفية نهائية لهذه الكارثة . على أنك
قد أدهشتنى كل الدهش إذ لا تزال تذكر على سبيل
الجد تلك الحكاية القديمة التى أخبرتك بها : رصيدى
فى البنك لذلك المبلغ الصغير الذى ربحته ثمننا لرواية
تمثل لى فى القاهرة . ألا نرى واضعهم فى أعماق
نفسى لا أجهر بالشكوى ولا أتفجع ولا أتوجع
تظن أنى نائم على رصيد فى بنك ! أغاب عنك أيها
المحترم انى أحببت . وان حبي كان مما يتغذى بالنقود
كما تتغذى النار بالوقود ! إنك تذكر جيدا ان
الرصيد قد ذهب فى هدايا النويل والمطاعم الغالية
من بوكاردى إلى حان الأب لويس . والملاهى الفاخرة
والمسارح العامرة ! أنا أيضا على ديون مثلك وما
تسدده لى يدخل فى جيوب غيرى . حالى مثل حالك .

على أنك أنت قد خربت وبقى الحب . أما أنا فقد
خربت وضاع الحب ! ..

وبعد فاني الآن جاد في الاستعداد للامتحان
في أول مارس . وهي آخر فرصة لي . فاذا ضاعت
فاني أقطع الأمل نهائياً في نوال الدكتوراه . ذلك
ان البرنامج بعد ذلك يتغير وبهذا يذهب هباء كل
ما قرأت فيما مضى . ثم اني لن أستطيع التقدم مرة أخرى
إلا بعد مرور عام على الأقل ، بالبرنامج الجديد . فأول
مارس كما ترى هو التاريخ الفاصل في أمر مستقبلتي
الدراسي للقانون . وفشلي فيه سوف يكون صدمة
كافية أن تقصيني الى الأبد عن طريق الحقوق .
فهذا الامتحان هو حدث هام في حياتي . ولا أريد
أن أتهاون فيه حتى لا تلقى التبعة على وعلى ارادتي .
فأنا أجهد نفسي فوق الطاقة لأضع التبعة على رأس
القدر . فاذا أراد هو أن يصدمني ليخرجني من سجن

القانون إلى قضاء ... إلى أي قضاء ... فتلك إذن إرادته
هو لا إرادتي .

أرجو أن تعيد إلى الرواية بالتالي . فأنا لست أدرى
ماذا قام برأسي فجعلني أرسل إليك شيئاً مثل هذا
لم يتم . وحبذا لو أعدتها قبل أن تقرأها . أما إذا
كنت قد قرأتها وقضى الأمر فاكاتب إلى برأيك
فيما قرأت ... ؟

حاشية - فإني أن أخبرك أنني ذهبت منذ يومين
لمشاهدة « اندروماك » لراسين في الكوميدي فرانسيز .
وقد خطر لي أن اصطحب جرمين . ولكنني بحثت
في جيبي فلم أجد معي غير ثمن مقعد بالمسرح « في
أعلى عليين » ... وحتى لو كان معي اجر مقعد آخر
يجاني لجلت أن ادعو إليه جرمين ... أن الارتفاع
والعلو موضع فخر في كل شيء إلا في المسارح ! :

آه يا اندريه ... ان تمثيل التراجيديا عمل ليس بالهين .
ذلك ان المطلوب من الممثلين ليس مجرد تفسير
النصوص طبقا للروح الفلسفية والاسطورية التي
تنطوى عليها هذه الآثار ... ولكن كذلك طبقا
لأوضاع الفن « البلاستيك » كما عرفه الأغريق .
ان كل وقفة فوق المسرح من وقفات ممثل التراجيديا
يجب أن يكون لها جمالها المثالي في فن النحت . كل
ممثل أو ممثلة للتراجيديا يجب أن ينتقى من بين أصحاب
الأجسام التي تصلح في ذاتها نماذج فنية للمثاليين .
ان الصلة لوثيقة جدا بين فن النحت وفن تمثيل
التراجيديا ... كما هي وثيقة بينه وبين فن الموسيقى .
ان أصوات ممثلي التراجيديا لا تنتقى عفواً ولا تلقى
عفواً . فليس الالقـاء الطبيعي هو المطلوب في
التراجيديا ، كما هو الحال في الدراما أو الكوميديا .
وإنما يجب أن يكون الصوت والحركة في التراجيديا -

كما هو الحال في « الأوبرا » - خاضعين قبل كل
شيء، للأوضاع المعروفة في فنون النحت والموسيقى
والعمارة والتصوير . لذلك كنت مخطئاً في حكمي يوم
شاهدت لأول مرة في الكوميدي فرانسيز ممثلة
التراجيديا « سيجون فيبير » والممثل التراجيدي
« ألبير لامبير » يلقيان الشعر على نحو اعتبرته أنا
خارجاً على الطبيعة . وهل الشعر بنظمه وقوافيه
وأوزانه الموسيقية إلا من الفنون الخارجة على
الطبيعة ؟ .. وما دام هو كذلك فيجب أن يؤدي
متسقاً لأمع الطبيعة ، ولكن مع غيره من الفنون
التي تتصل بها التراجيديا . . .

باريس - شارع بلبور في . . .

عزيزى اندريه

لاشك انى لست كريم الخلق بالفطرة والسليقة .
أمس هبط على الشاعر البارناسى فى حال يرئى لها ،
فلم أمد له يد المعونة كما ينبغي . يجب قبل كل شئ
أن تعرف من هو هذا الرجل عندى ؟ انك لم تره
غير مرة واحدة معى فى قهوة « الدوم » . وقد غاظك
منا اشتغالنا عنك بمناقشات فنية طويلة عن الفروق
الدقيقة بين المدرسة الايطالية والمدرسة الفلمنكية
فى التصوير . فتركنا ساخرأ وأنت تهمس فى أذنى :
« أين هذا الشيخ المتهدم الذى جاوز الثمانين من تلك

الصبيبة الحسنة التي تنتظرنى فى «الروتوند» ؟ !
ولكنك تذكر أن اغراءك فى تلك المرة لم يصادف
عندى نجاحا . ان الجلوس إلى ذلك الشيخ المتهدم كان
ينسينى مفاتيح الدنيا . لأنه كان يرينى مفاتيح الفن .
هو الذى فتح بصرى على جمال الفن «البلاستيك»
من نحت وعمارة وتصوير . كما أراح لى مسيو «هاب»
الستار قبل ذلك عن جمال الآداب القديمة . فقرأ
معى الالياذة وبعض مآسى سوفوكليس وأروبيد
وإشيل وكوميديات ارسطوفان ... ثم ترك حبلى على
غاربى . وقد تمكن من إداء المعرفة . فتركته
وانطلقت وحدى التهم كل شئ من قديم وحديث .
وكما حدث مع والدتك يوم كنت أقطن عندها فى
«كوربفوا» . وتذوقت لأول مرة غناءها
للأوبرات . فسكنت أنزعها من المطبخ انزعاعا
لتذهب إلى البيانو «بفوطتها» تغنى لى المقطوعات

الجميلة في « كارمن » و « فاوست » و « اجراس
كورنفيل ». إلى أن عرفت طريق دار الأوبرا
والأوبرا كوميك ثم قاعات الكونسير « كولون »
و « جافو » و « بادلو ». فلم أعد إليها بعد ذلك قط .
على أن والدتك وكذلك مسيو « هاب » ليسا في
حاجة إلى حسن المعاملة . أما ذلك الشاعر المسكين
فله شأن آخر . انه لا يكاد يجد الآن ما يسد بهرمقه .
انه كان شاعرا معروفا يوم أخرج مجموعة شعره
الكبرى . ولقد أراني نسخة من الطبعة الأولى
صدرت منذ نصف قرن ، وقصاصات من نقد ذلك
العهد تنعت به بأنه من أركان مذهب « البارناس » .
ولكن الشعر لا يستطيع أن يقيم أود انسان إلى
ما بعد الثمانين . فهو اليوم بأُس حقا . يعيش في حجرة
قذرة « مانسارد » . ويأكل مما تجود به معونة
أصدقائه . ولعل أكثرهم قد مات الآن . وهو قد

فرح بي يوم عرضت عليه أن يقودني إلى المتاحف
وأثار الفن وأن يلازم أحدنا الآخر كلما استطعنا
إلى ذلك سبيلا . على أن أتسكفل أثناء ذلك بنفقات
غدائه وعشائه وتبغّه وشرابه . وهو يستحق أكثر
من هذا والمكن ماليتي كما تعلم محدودة . ومع ذلك
فما كنت أتركه بعد كل لقاء دون أن أدس في يده
ورقة مالية صغيرة . وأنا أقول في نفسي « اجعل انك
اشتريت بهذا المبلغ كتابا » وما أكثر الكتب
التي أبتاعها في كل يوم كما تعلم بالمال المخصص لكسوة
الشتاء . على أن هذا الرجل كان لي خيرا من ألف
كتاب . انه كتاب حي متنقل ماترك قاعة في متحف
اللوفر ، أو حديقة فيها تماثيل ، أو كاتدرائية أثرية
دون أن يذهب بي إليها ويقف بي عليها شارحا مفسرا .
إني لم أزل أذكر لقاءنا الأول وقد أحضر معه إلى
القهوة « صرة » صغيرة . سألته عنها دهشا .. ففتحها

بحرص واعتزاز دون أن ينبس ... فاذا هي مجموعة
أثرية صغيرة . عن العصور الحجرية الأولى . أو ما
يسمونه « المجاليت » وأخذ يوضح لي المظاهر الأولى
لفن العمارة في « المنهير » و « الدولن » ... ذلك أنه
أراد أن أبدأ في معرفة الفن من البداية ... فأراني
تطور النزعة الفنية منذ الإنسان الأول .. وقادني إلى
متحف التاريخ الطبيعي .. ثم إلى دار الكتب ...
وهناك رأيت لأول مرة تمثال « افروديت » بغير
رأس ولا ذراعين ولا ساقين . ولكن أي جمال !
« لا شيء أجمل من جسد امرأة » تلك هي الصيغة
التي لفظناها أمام هذا التمثال . لقد قلت لصاحبي
الشاعر يومئذ اني قد فهمت المعنى الحقيقي لكتاب
« بيبير لويس » عن افروديت . انه ولا شك قدر آي
من تماثلها هذا ما رأينا ! .. كيف استطاع ذلك
النحات الاغريقي أن يستخرج من ثديين وردفين

(لأن التمثال ليس أكثر من ذلك) جمالا ارتفع
إلى القدسية؟! «بيير لويس» أراد ذلك أيضا بلا
جدال، فأشاد بجسد المرأة إشادة لم تفهم أحيانا علي
الوجه الذي أراد... وهكذا كنا نتحدث ونتناقش
أمام كل تمثال أو صورة أو أثر فني... ويجرنا الحديث
من فن إلى فن، ومن مقارنة إلى مقارنة. فالآداب
والفنون والعلوم وكل مظاهر النشاط الذهني متصل
بعضها ببعض إلى حد قد لا يصدق لأول وهلة.
فالمعرفة سائل في إناء عناصره كل هذه الأشياء...
وأخيرا جاءت الساعة المحتومة. لقد تفتحت عيناى
وانتهى الأمر... وعرفت كيف أبصر دون حاجة
إلى دليل. وعرفت كيف أقرأ في ذلك الباب. فهذا
(هيبوليت تين) و(جان مارى جويو) و(جرانت
ألن) و(جون رسكن) و(سالمون ريناخ) الخ...
وعشرات الكتب الفنية المصورة عن أعمال المصورين

والنحاتين . وهذا هو (اللوفر) و (اللوكسمبورج)
ومتحف « رودان » والمعارض السنوية الدورية .
ثم بعد ذلك كله وهو الأهم ... هذا هو تفكيرى
الشخصى قد تكون بعض الشئ ونظرتى الخاصة
بدأت تطالبنى بأن أستقل فى التأمل والتقدير
والاستنتاج . جاءت اللحظة التى شعرت فيها بجوب
السير بمفردى ... وكانت بوادرها ذلك اليوم الذى
أدركت فيه ان محادثات ذلك الشاعر لم يعد فيها
جديد يثير اهتمامى أو التفاتى . ولقد شعر المسكين
بذلك فكف عن الحديث فى الفن . وندرت مقابلاتنا
واقصر الكلام أثناءها على التافه من أمور الدنيا .
إلى أن انقطعت . وانصرف كل إلى شأنه . فأصبحت
لا أراه إلا إذا اشتدت به ضائقة ارغمته على اقتراض
بعض النقود منى . ولقد جاءنى أمس كما قلت لك فى

الصباح المبكر فاستيقظت ساخطا متبرما فأبصرته
يرتعد من البرد ويقول لى : « إذا لم أجد دثارا ثقيلا
فى هذا الشتاء فانى لن أظل حيا حتى مطلع الربيع »
فلم أرد عليه بكلمة . ولكنى أخرجت له ورقة
مالية صغيرة وضعتهافى كفه كأنه شحاذ . فرفع
الشيخ قبعته شكرا وانصرف صامتا . وعدت إلى
فراشى لأستأنف رقادى . فقد سهرت ليلتى اطالع
كالاعتاد . ولكن النوم هرب منى . لقد تنبهت
لما حدث . وتمثل لى سوء فعلى . كيف اصنع معه
ذلك ؟ وكيف اتركه يذهب هكذا بقليل من نقود
لن تغنيه شيئا . وتذكرت هيئته الذليلة ساعة
انصرافه صاغرا مدعنا لحكم القدر او حكمى انا
على الأصح . وكانت آخر لفظة قالها برغم ذلك هى
merci beaucoup خرجت من فمه خافتة مخلصمة

لا اثر للمرارة فيها ولا للعتاب . . . هنا ادركت
انى لو كنت حقاً كبريم النفس لألقيت على
منكبيه الهزيلين معطفي بغير تفكير ولا تدبير
ولا تردد . . . ؟

باريس — شارع بلبور في . . .

عزيزى اندريه

لقد لفظ القدر كلمته . انه لا يريد لى طريق
القانون . لقد رسبت فى ثلاث درجات . ولم ترد لجنة
المحلفين جبر النقص بينما وافقت لجنة اخرى على جبر
اربع درجات لأحد اعضاء البعثة . من هذا ترى ان
القدر لم يرد ان يمد إلى يده كما مدها إلى غيرى .
لماذا ؟ اياك ان تفهم انى تهاونت فى الدرس . لقد
كانت اجابتي مرضية جدا فى علم تاريخ المبادىء
والمذاهب الاقتصادية (آراء ارسطو حتى آراء كارل
ماركس) وكذلك فى علم الاقتصاد السياسى وكذلك

فى علم التشريع الصناعى . ولم اهبط الى حد الرسوب
إلا فى علم واحد هو علم « المالية » (ولعل هذا يفسر
لك ارتباك ماليتى) . انه علم اجراءات وارقام لا تستقر
فى ذاكرتى . آه للذاكرة يا اندريه . ما دامت
الذاكرة هى المعول عليها الى حد كبير فى الامتحان
فلا امل لى . اما المطالعة فى ذاتها فما يسرها وما الذا
عندى . انى اطالع فى اليوم مالا يقل عادة عن مائة
صفحة فى مختلف ألوان المعرفة (من ادب وفنون
وفلسفة وتاريخ الى علوم رياضية وروحانية) مائة
صفحة فى اليوم اى ثلاثة آلاف صفحة فى الشهر .
بينما المقرر كله لامتحان الدكتوراه لا يتجاوز ثلاثة
آلاف صفحة فى العام كله . لو تعلم انى قرأت مقرر
الدكتوراه للقانون العام وهو عن : « سلطة الكنيسة
والدولة » و « نظام العبادات منذ القرن الرابع عشر »
و « عصبية الأمم » و « المبادئ البارزة للقانون

الدولى « و » اعم اتجاهات قضاء مجلس الدولة « و
« الدساتير المكتوبة ». قرأت ذلك كله دون ان
اتقدم فيه الى اى امتحان . قرأته لمجرد القراءة .
وما قراءة مقرر عندى إلى جانب قراآتى الأخرى !
ألم أخبرك أنى تتبعت كثيرا من دروس السوربون
لغير غاية الا تتبع آثار الثقافة التى تعينى . لقد حضرت
كثيرا من محاضرات الأستاذ برنشفيج عن « صلات
العلم بالدين فى القرن السابع » ومحاضرات دلا كروا
عن « الأحوال النفسية للفن » . ودروس رويين عن
« المذاهب الأخلاقية والسياسية لأفلاطون
وارسطو » . ودروس فوجير عن « مصادر فن
العمارة الاغريقية » و « آثارا كربول اثينا » .
ومحاضرات شنيدر عن « ميكل انجيلو وعصره » .
ومحاضرات برونو عن « الثورة واللغة » . ومحاضرات
لجويس عن « تاريخ الشعر الانجليزى » الخ . لم يمنعنى

الانقطاع عن الحى اللاتينى من متابعة هذه الدراسات
فقد استحضرت كتبها وانغمست فى مطالعتها
لنفسى ، وسرت على دريها وأنا فى حجرى . ان
التحصيل فى ذاته للثقافة والتكوين هو لذنى الكبرى
الآن . انما الذى يخيفنى هو الامتحان . لقد تحقق
لدى اليوم انى لا أصالح بطبعى للتقدم إلى أى امتحان .
ذلك ان الامتحان يريد منى عكس ما أريد أنا من
القراءة . انى أقرأ لأنسى . والامتحان يريد منى أن
أقرأ لأتذكر . انى أقرأ لأهضم ما قرأت أى أحلل
مواد قراءتى إلى عناصر تنساب فى كيانى الواعى
وغير الواعى . أما الامتحان فيريد منى ان احتفظ
له بهذه المواد صلبة مفروزة . انى اشعر وانا أقرأ حتى
مقرر الدكتوراه فى القوانين ان مواده قد تفككت
واختلطت بمواد أخرى لقراءات أخرى لا علاقة لها
بالقانون ، كما تختلط فى المعدة المواد الغذائية بعضها

ببعض . وإذا الناج من هذه المواد المختلطة هو عصير
ثقافي يسرى في دمي المعنوى فأحس كأن وزني
الفكري قد ازداد ، وكأن قدرتي على احتمال التأمل
المثمر قد نمت . أما المواد الغذائية في ذاتها فقد
هضمت أي نسيت . الامتحان يريد مني ان أوقف
عملية الهضم حتى يتحقق الممتحن من وجود المواد
صلبة مفروزة داخل المعدة الذهنية .

لا أريد بذلك أن أعيب نظام الامتحان في
ذاته . إنما انا أعيب نظام بديتي الفكرية . اني سريع
الهضم إلى حد قد يعد مرضاً في نظر الممتحن . ومع
ذلك لماذا أتقدم لممتحن . ما دمت قد تناولات الغذاء
واحس حرارة الدم القوي تفور في رأسي فلم اذا
ادع الناس يفحصون ما في معدتي ؟ !

اتراني ادافع عن نفسي والتمس الاعذار
يا اندريه ! لست ادري . ها انت ذا تراني غير يأس

ولا ساخط . وإني أتقبل الصدمة باسمًا لأنها لا تدل
على شيء . إلا على قرب وقوع الكارثة العظمى :
تركى أوروبا والعودة إلى بلادي ...

لقد لفظ القدر كلمته . ولا جدوى من الإصرار على
معارضة القدر . لكن ... أترأى يا أندريه إرادة القدر حقًا
أم إرادتي أنا ؟ من الانصاف أن أخبرك بشيء عجيب :
لقد قرأت منذ أسبوعين كتابًا جديدًا لأحد معاوني
فرويد عن « القدر » . ذكر فيه أننا نحن الذين نصنع
أقدارنا بأنفسنا . وإن ما نسميه القدر ليس إلا إرادتنا
غير الواعية . ورب حادث صغير أو حلم من الأحلام
أو نبوءة من النبوءات نصدقها فتستقر في أعماقنا
وتعمل سرا على دفعنا في سبيل تحقيقها . فلقد حدث
لي مثل هذا الحادث . كان ذلك آخر ليلة استعد
فيها للامتحان . لقد سهرت إلى الرابعة صباحًا تحت
مصباح المكتب الصغير . حتى أتممت مراجعتي الأخيرة

فطويت الأوراق والكتب ونهضت للنوم كي أستيقظ
نشيظا للامتحان . وكنت منشراحا متفائلا مفعما
بالأمل لامتلا كي ناصية المقرر . وإذا فجأة تصطدم
يذى بالمصباح فيقع مكسورا على أرض الحجرة تاركا
كل شيء فى الظلام . عند ذاك دب التشاؤم فى نفسى .
وحدثتنى نفسى بسوء الختام . فى هذه اللحظة فقط
كان فشلى قد تقرر . كما تقرر مصير « مكبث »
ملكا مجرما فى اللحظة التى آمن فيها بنبوءة الساحرات .
سواء كانت تلك إرادة القدر أو ارادتى فقد
فشلت يا اندريه . فارث لى ... م

حاشية — لماذا لم تعد إلى الرواية بالتالى . انى دهش
لاغفالك خبرها ! .. أتراها لم تصل إليك ؟ ...

باريس في ٢٤ مايو . . .

أندريه . . .

بعد بضع ساعات أكون قد فارقت باريس
المحبوبة ..

أسافر هذا المساء بقطار الساعة التاسعة . وغدا
٢٥ مايو تكون الباخرة « راوليندى » قد اقلعت
حاملة جثمتي ، وان يسألونك عن الروح قل روحه
في قاعة كونسير « بلييل » ! . . .

اندرية : لست أملك الآن من أمرى شيئاً ،
الا الابتسام في وجه القدر الظافر . ولعل هدوئى
راجع إلى توقعي هذه الكارثة ، التي تعرف اني طالما

ترقبت ساعتها بذعر وفزع . لقد وقع الأمر المحتوم .
فما تريد أو أريد ؟ أملئ الباقي معلق عليك . رسائلك
يا اندريه على الأقل ! رسائلك تحمل إلى في صحرائي
نسيم أوروبا العظيمة !

أودعك يا اندريه وداعاً حاراً . وأودع جرمين
وجانو وقد رأيتهما أمس للمرة الأخيرة . أودعكم
وأودع فيكم باريس الفن والفكر

حاشية — كنت أريد أن أحدثك عن موسيقى
اليوم (ميلهو — روسل — هونجر — سترافنسكي)
بمناسبة حفلات هامة قامت بها فرق أجنبية في باريس
في الشهرين الأخيرين : فرقة ألمانية بقيادة «مانجايرج»
وأخرى نمساوية بقيادة «برونوفالتر» . ان طرق هذه
الموضوعات الآن لما يزيدني ألماً . على أنني أحب أن

أقول لك ان سخطى على سترافنسكى يوم نشر نقده
للمقذع لفاجنر ويتهوفن قد زال بعضه عند سماعى
قطعته « تقديس الربيع » مرة أخرى . إنه على كل
حال تعبير قوى لاتجاه جديد فى الموسيقى وأغراضها
كما يفهمها هذا الروسى الثائر .

نسيت أن أخبرك فى رسالتى السابقة انى
شاهدت رواية « هاملت » فى الشهر الماضى يمثلها
خير ممثل فى ايطاليا حذق هذا الدور وهو (روجيرو
روجيرى) وكنت قد شاهدتها قبل ذلك من تمثيل
(مويديسى) وهو خير من قام بهذا الدور عينه فى
ألمانيا ... إن مجال المقارنة بين الفنانين لما يحتاج إلى
رسالة طويلة . ويكفينى أن أقول لك انه لا يوجد
مكان فى العالم ترى فيه الفنون كلها مجتمعة سوى
باريس . باريس هي (فترينة) العالم . نعم ... هي

الواجهة البلورية التي تعرض خلفها عبقرية الدنيا . . .
أكرر وداعى لك ولباريس وأحذرك يا اندريه من
أن تحرمنى وأنا بمصر هذا الاتصال بألوان
الفن . . . ؟

كزبرني درسا

الاسكندرية في ١٣ يونيو . . .

عزيزى اندريه

أحفظ لك فى نفسى جيلا يضاف إلى سوابقه :
رسالتك الطويلة التى بادرت باطلاقها فى أثرى ،
فأدركتنى ولما أتم الأسبوع فى بلادى . إذا أردت
أن تعرف مقدار اغتباطى بهذه الرسالة فاذكر أنك
ضمختها بعطر فرنسا المأسوف عليها .

أود لو أكتب إليك بأخبارى ومشاعرى ،
ولكنى أراها لا تساوى شيئاً كلها . أهى شئ غير
اطراق طويل وابتسامة حزينة . كلها رافعة وورثاء
لكل ما يقع أمامى ها هنا ، ويأس قاتل وتحرق دائم ،

وأيام تجرى كالدموع الباردة ، وحياة أتنى ردها
خالقها ان لم يعطنى حق استعمالها كما أريد ! هل ترانى
مستطيعا أن أكون شيئا غير ذلك الآن ؟ !
أختم خطابى سريعا خشية أن يفوت موعد
البريد المسافر إلى أوروبا هذا الأسبوع . وإنى أترقب
رسالة منك : فأنت الذى يقدر على إمتاعى بالطريف
القيم ، أما أنا فما عندى شىء مفيد أقوله لك ... ؟

الإسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

ها انذا أسرع فى الرد على رسالتك راجيا أن
تصلك خلال شهر الراحة كما تقول . وكل أملى أن
يحيئنى منك رسالة عاجلة شافية تربو صفحاتها على
العشر . فإني أول ما يعينى معرفته حين استلام
رسائلك هو وزنها وحجمها غير حافل بما تحويه من
كلام . فأنا فى حاجة كما ترى إلى مجرد ثرثرتك . أما
أنت فما أظن بك حاجة إلى أخبارى . لأنها راكدة
كالماء الراكد . ولو بدا تغير قليل فى مجراها لبادرت
باخطارك . كل ما عندى هو أنى أعيش فى جوف فكرى

- ان كان في مصر ما يجوز أن يسمى بالجو الفكري -
لا يستطيع أن يعيش فيه مثلي . وأصدقاء الماضي
أصبحوا لا يصلحون اليوم لي ، فحديتهم
ونسكاتهم وطريقة قتلهم للوقت لما يزهدني في الجلوس
إليهم . وان شئت وصفا دقيقا لحالي فهو يتخلص في
كلمة واحدة : الوحدة . الوحدة في أكل وأقسي
معانيها . امضى اليوم في القراءة فاذا جاء الغروب
خرجت الى (كازينو سان استفانو) لأسمع القليل
من الموسيقى التي يعزفونها هناك . وحتى في هذا
المسكان الصاخب باللاهين أحرص على وحدتي فاتزوي
خلف عامود قرب (الأوركستر) متحاشيا نظرات
من أعرف حتى لا أكلف نفسي عبء التحية .
وهل تتصور أن يكون حالي غير ذلك ؟

لا أكتمك يا اندريه ان صرخة خرجت من
أعماق قلبي عندما قرأت في رسالتك خبر حريق

قاعة كونسير (بلييل) ! ان ألى لهذا الخبر سيتضاعف
كلما ذكرت ان هذا الهيكل العظيم هو عندى رمز
من رموز الفن فى باريس . اكتب الى كتابامطولا
اذا كنت تعتقد ان اسمى واجباتك نحوى هو التفضل
على ساكن الصحراء ببعض نفحات أوروبا العاطرة .

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

تعبت من كل شيء . ومن كل انسان . ويئست
من أن بلدا كمصر يصبح في يوم قريب ذا حياة
فكرية . لا حياة في مصر لمن يعيش للفكر . . .
لا يشغل عقلى الساعة غير شيء واحد ، ولا يلذ لي الا أمر
واحد : تحطيم كل شيء . تحطيم كل شيء هام . وابدأ
بمستقبلي ، الذى يلوح لي انه بدأ يتفتح عن وظيفة في
القضاء . . . حبذا لو استطعت تحطيمه لأهيم
على وجهى في بلاد الأرض ، لا تحبذنى غاية ولا
يوقفنى غرض .

وصلتني اليوم بطاقة البريد المصورة من (ليل) ،
فغبطتك ، انك الآن في شمال أوروبا . يا للحظ
الجميل !

أشعر اني لا استطيع ان أكتب إليك أكثر
من ذلك . وحرصى على ميعاد قيام البريد يدفعنى الى
ختم هذه الرسالة عاجلا . وبذلك تصلك منى كلمة على
اى حال . اريد ان اكتب الى جرمين . فأنا شديد
الشوق اليها والى الصغير الجميل (جانو) ... مـ

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

الحق انى راض عنك كل الرضا . شاكر لك كل
هذه العناية . ولا اكثمك انى ما كنت اصدق وانا
مقادر باريس ان اتصالك بى سوف يكون بهذا
المقدار . لقد كنت احسبك ستصرف عني الى
حالك فلا تكتب الى الا بقدر ما يقطع شكى في
وجودك . أما الآن فقد ثبت لدى أمام رسائلك
المتتالية انك لا تكتب الى أداء لواجب . أترك تحس
ان اخبارك وأحوالك لها شأن عندي ؟ هي الحقيقة
يا اندريه . مامن انسان يتتبع الآن احوالك مثلى .

حدثني عن نفسك كثيرا وعمما حولك . اريد ان
احدثك عن آلامي ولكني لانسى سخريتك ولذعك
وهزئك بكل جد . هذا القلم في يدك اتبين دماء
(فولتير) تجرى فيه احيانا ، فينبئني قلبي بأنك لن
تكتب الى ردا يجمعني اطمئن اليك . فلا وثر الصمت
ولأطلب اليك انت الكلام . حدثني انت عما عندك
في الشاطئ ، الآخر ، آه الشاطئ الآخر .. المساج
بأضواء الحياة الفكرية ... ؟

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

مضى شهران وانا انتظر خطابا منك لا يأتى .
وبدأت اعتقد انه لن يأتى ابدا . ومع ذلك ثق انى لم
اصب عليك اللعنات . او انى فعلت . ولسكنى اقسمت
انى على استعداد لشراء خطاب منك بالنقود . نعم
انه لتمر بى لحظات أخرج من جيبى ورقة مالية اعلم
أنك فى أشد الحاجة اليها ، واضعها أمامى ثمن الرسالة
منك ذات أربع صفحات ...

أما بعد ، فان مسألة (أكل عيشى) ما زالت
عقدة العقد وأمرها أصعب مما تتصور . ماذا تريدنى

أن أكون وكيل نيابة؟ تاجرا؟ مزارعا؟ ثق أنى فى
 أى مهنة خلقها الله لن أكون سوى شىء واحد : أنا
 بطبيعتى ونقصى ! ومعنى ذلك انى سوف أكون
 وكيل نيابة أو تاجرا أو مزارعا على طريقتى . وهنا
 المصيبة والفضيحة ! انك تعلم من غير شك ان لى
 منطقا خاصا يشطبى أحيانا عما اعتاده الناس . فاذا
 أنا فى واد والناس فى واد ، ينظرون إلى ويقولون :
 إما انه أبله وإما انه فطن . لا أذكر فى حياتى ان
 الناس حكمت على غير هذين الحكيمين المتناقضين :
 ففريق ، ومنه والذى يقول إنى أبله ، وفريق ومنه
 والذى يقول انى فطن . ولم أسمع طول عمرى حكما
 وسطا بين هذا وذاك . على أن هذا كله لا يهمنى
 ولا ينبغى أن يهمنى . مستقبلى حتى الآن شىء غامض .
 بل لعله لم يكتب بعد فى « اللوح المحفوظ » ! اذكر
 قولك لى مرة فى حديقة اللوكسمبورج : ان الله لم

بمخلقى . انما هو الشيطان أراد أن يخلق طرازا جديدا
من الآدميين أو « موديل » من الانسان . يضارب
به الطراز الشائع المعروف . فجاء خلقه عجيب البناء
غريب التركيب ، به أثر من عبقرية الشيطان ،
ولكن به نقصا ينم عن تخطيط فى شؤون الخلق
والابداع . ومع ذلك ، حتى على فرض أن الله هو الذى
خلقنى لا الشيطان . فانه كان لسوء حظى يضجر
ويتبرم كلما جاءه جبريل بلوحى المحفوظ ليعين فيه
خطوات حياتى . فقد كان يصرخ فى وجه الملاك
الأمين قائلا : « اذهب عني الآن ! » فيقول جبريل
خاشعاً : « لكن ... يا إله السموات والأرض ،
المدعو توفيق الحكيم ولد وشب ونما وكاد يدنو من
الثلاثين ، وهو لم يزل يدب على الأرض ويعيش فيها
بالمصادفة ... وكما جئت إليك بلوحه لأجل التعمين .. »
فيسمع كأن الصوت العلوى يصيح به : « قات لك

اذهب عنى الآن ولا تشغلنى بهذا المخلوق !
هكذا أعيش بغير مصير. حياتى فيما يخيل إلى هى
فى يد المصادفة . والمصادفة غير قديرة على صنع حياة
محبوكة الأطراف . آه . . . ان حياتى مفككة ،
كالقصة المفككة ، أو الهيكل المزعزع الأركان .
انا الذى لا يحب فى الفن غير قوة البناء ، وما يتبعه
من قوة التركيب . وهذا هو سر عنايتى بالحوار الجميل
فى الأدب . نعم ذلك ما أتمنى عاظه architecture .
هذا الاحساس الهندسى الذى من نتائجه : الحساب
ووضع الكلام بمقدار والاعتماد على الخطوط الكبرى
التي تحدث التأثير . انى مهندس architecte أدبى .
هذا كل شئ . من ذلك الطراز الذى يشيد معبدا
عاريا : أعمدة ضخمة متناسقة ولا شئ غير ذلك .
ما أشد حاجتى إلى حياة قائمة على أعمدة راسخة
كالمعبد الضخم الجميل ! انى معبد يتصاعد من جوفه

لا بخور الايمان . بل بخار الشك والقلق . انى اتالم
ألمالا يراه أحد . اذ لا يظهر على وجهى شىء غير
هدوء الرضا . هنالك دودة دأمة الوخر . دائبة النخر
فى قلب هادى المظهر رائع المنظر كالكمثرى الذهبية .
هنالك قلوب يسكنها الألم كأنه عبادة . حياتى كلها
ليست سوى قارب ثمل . لهذا يخيل إلى انى صديق
« ريميو » الانسان قبل الشاعر . ولمن لم يقرأه ايضا كنت
صديق « ايفان » الرزى الثام . أما انت يا أندريه ؟
ن لك قلبا من غير شك ولكن ... ينقصك الألم .
إذا انصهر قلبك يوما انصهارا كافيا وانتشر حوله
الدخان ، فان هنالك بين ذلك الدخان تستطيع أن ترى
الشبح الحقيقى لصديقك الشرقى !

انى الآن أنتظر الشتاء . ولعله يأتى بجديد .
ولعل الله فى هذه المرة يلتفت إلى وجودى غير ضجر
ولا متبرم فيعين طريقا لحياتى . ان الانتاج الفكرى

يا اندريه ليرتبط إلى حد ما بطريقة عيش السكاتب ،
ويتلون احيانا بلون حياته اليومية . لذلك ترانى أنتظر .
على أنى فى هذه الفترة أتعزى عن نفسى بك وبنشاطك
وأوجه ببصرى إليك فى أمل ، واتبعتك فى مطالعائك
الليلية فى غبطة ورجاء . . .

حاشية - بعد أن ختمت هذا الخطاب تأملت
قليلا فى أمر ذلك « اللوح المحفوظ » الذى تسطر
فيه مصائرنا . مما لا شك فيه ان لكل نفس خلقت
قصة يجب أن تعيشها على هذه الأرض . ومما لا شك
فيه أيضا ان كل قصة يجب أن تكون جديدة بعض
الجدة ، وان تختلف عن غيرها بعض الاختلاف .
تصور اذن كم من القصص قد ألف ويجب أن يؤلف
لملايين ملايين الملايين من البشر . يخيل إلى ان هنالك
فى السماء ملاكا فنانا منقطعا لتأليف قصص المواليد

قبل خروجهم إلى الحياة . هذا الملاك الروائي المخصص
لهذا العمل العسير يجب أن يكون واسع الخيال إلى
حد مخيف . والويل له إذا نضب خياله مرة . أخشى
مع ذلك أن يكون خياله قد نضب وهو يمسك بالقلم
ليسطر قصة حياتي ! ..

+

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

انى آخذ عليك تقصيرك فى الكتابة إلى .
وأوجه نظرك مرة أخرى إلى أن رسالة تسكتبها
إلى لا تشغلك كثيرا ما دمت تجد وقتا يتسع لمغازلة
الحسان . ولو ان يبنى وبين نفسى أعلم ان هذه
المغازلات قديمة التاريخ . ولا أحسبك قد نسيت قهوة
الدوم والأمرىكية ذات العيون التى تشبه فى زرقها
ماء بحيرات الجنة ! على انى أغتفر لك عن طيب خاطر
كل اهمال إذا كنت مشغول الوقت حقيقة - بعد عمل
المصنع المرهق - بالقراءة والمعرفة بما فيها الموسيقى
والوان الفنون جميعا . ذلك الداء الذى تقول انى رميتك

به . لم يحب ظنى . انك قد سمعت فى هذين الشهرين
من الموسيقى خير ما يمكن سماعه . فانى أعلم ، وقد
مكثت فى باريس شهرى مايو ويونيو من بعض
الأعوام ، ان ذروة الموسم الموسيقى هى فى هذين
الشهرين . فان خير الفرق تتلاقى فى باريس فى ذلك
الوقت قبل تفرقها فى المصايف . لقد سمعت انا أيضا
سانفونية « ماهر » التى تحدثنى عنها و « نشيد
الأرض » وهو إحدى روائع صحائفها . كما سمعت
قطعة « الأفراح » العجيبة لسترافنسكى ، وكذلك
قصيدته السانفونية « تقديس الربيع » وفيها هى
أيضا « نشيد للأرض » ولكنها الأرض الوثنية
لا أرض « ماهر » التى تتصاعد منها الروح الدينية
العميقة . غير انك أحسن حظا منى بسماعك
Lotte Schoene المغنية العظيمة . وفرق « الكورس »
الشهيرة التى وفدت إلى باريس هذا العام . فانا

لا أمل لى هنا فى سماع هذا الضرب من الموسيقى ،
أعنى الصوت الآدمى المنفرد أو المجتمع . فأنا
أستطيع على كل حال أن أجد فى الموسم الموسيقى
لكازينو سان ستيفانو تحت قيادة ايطالى متواضع
يدعى « بونومى » كل برامج الموسيقى الآلية
تقريبا ، حتى « اندانت » لماهر سمعته ببرنامج
الأمس . لكن من المحال أن أمل فى سماع
messe أو requiem أو على الأقل السانفونية التاسعة
ليتهوفن . فشاهير المغنين والعازفين لا يأتون هنا
بالسهولة التى يذهبون بها إلى باريس . لذلك ارسلت
إلى المانيا فى طاب اسطوانات لهذا النوع الذى
لن اطعم فى سماعه هنا . وقد كلفنى ذلك نقودا
واى نقودا ! وبعد فاشمكر لك حديثك المسهب
عن الموسيقى . فأنت ولا شك تعلم ان الحديث عنها
هو خير ما تطرب له اذناى . . .

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

نعم . انك ارتفعت حتى قمة الجبل . وقت بتلك
الرحلة الصاعدة الجريئة . وكان من حسن حظى أن
أرافقك . وكان من سوء حظى أن ألقى نظرى قبلك
إلى مهبط السفح وأن ألفت نظرك الطامح الجنونى
إلى هول ما بعدنا عن سطح الأرض . وهانت ذا
تعترف أنك بعد تلاوة رسائلنى اضطررت إلى النظر
فيما أقول فوجدت نفسك مخلقا حقيقة على ارتفاع
مخيف . وأحسست لحظة الدوار . إلى هنا أوافقك .
وأوافقك أيضا على قولك ان أخشى ما تخشاه على

رأسك من هذا الدوار هو عندما تهبط إلى مستوى
زملائك في المصنع . نعم ، انى أتوقع لك دوارا قاسيا
ساعة النزول يتناسب مع ذلك الارتفاع . أما قولك
أسفا انك بدأت تشعر بالوحدة الروحية تنسج أبرادها
حولك . فهو مالا أوافقك عليه . أو لست متصلا
بك دائما ؟ بماذا تفسر كتابتى المستمرة إليك ؟ تقول
انه كان ينبغى - فى لوح قدرك - أن يأتى فتى من
الشرق ليسبغ بخياله رداء الأحلام على عالم الواقع
الذى كنت تعيش فيه .. ! أنا أيضا كان ينبغى لى
أن أرى جمال الواقع الناصع فى جوار عقلك الأوروبى
المستقيم . ان هزة التصادم بين الشرق والغرب .
هى وحدها التى تفتح الأعين المغلقة فى الشرق والغرب
ان فى تلاقينا لمعنى أوسع من كل معنى شخصى أو
فردى . ان فيه قوة الرمز . ما من مرة احتك فيها
الشرق بالغرب الا وخرج من احتكاكهما ضوء أنار

العالم . وما من مرة تلاقى فيها وجه الشرق بوجه الغرب
ونظر أحدهما في عين الآخر الا وأبصر جمال نفسه
كأنه ينظر في مرآة . أليس من العجب يا اندريه
انك لم تعجب بكل ما عندكم من آثار الفن والموسيقى
إلا بعد أن توطدت بيننا الصلة ؟ لن أنسى سخريتك
بي وبخيالي وميولي في أول عهد تلاقينا . لقد جعلت
تهدم كل الأسس التي بنيت عليها حياتي . لقد جعلت
تجرد صديقك الشرق من كل صفة طيبة حتى صفة
الفنان التي كان المسكين يعتز بها وقتذاك على نحو
مضحك ، لا بسا لها لبوسها من معطف اسود وقبعة
عريضة سوداء ! لم تترك له أملا واحدا يعيش به .
وبعد أن هدمته بلا رحمة قلت له ذات مرة : « والآن
أذهب والى بنفسك في نهر السين إذ لا قيمة لمثلك
ولا فائدة ترجى منه في الحياة ! » ألا تذكر ؟ ومع
ذلك شيء عجيب : لم يؤثر في نفسي كثيرا هذا

الكلام . وابتسمت له ورددت عليه ردا لطيفا
أقرك به بعض الشيء . ألا تذكر ؟ ذلك أنى فى ذلك
الوقت كنت أدرك انك لم تفهم بعد روح الشرق .
ثم شئ آخر : هو انى فى ذلك الوقت كنت أقابل
المأسوف عليه « ايفان » ذلك الروسى الذى كان يدعم
ايمانى بنفسى وبالشرق كلما نالت منى بعض كلماتك .
ولكنى عدت بعد ذلك إلى الشرق . عدت إلى
مصر يا اندريه فأصابنى بادية الأمر ذهول . ذهول
عنك وعن كل شئ . كمن وقع من السحاب حقيقة .
ثم أخذت أتصفح الوجود والأشياء حولى . يالها من
حقيقة مؤلمة ! رأيت نفسى فى شبه عالم نائم . لقد
شعرت بما قد يشعر به من يهبط سطح القمر الأجرد
المعتم . انت أيضا نقلت إلى داءك يا اندريه . فجعلتنى
أبصر الواقع المؤلم بعين الواقع
لقد عشت بضعة شهور بغير نفس ولا ادراك ،

أحاول فهم السخفاء والجهلاء ، وأتمنى لو أستطيع أن
أسر بعشرتهم ، وأن أصغى إلى أحاديثهم . لقد قطعت
عهدا على نفسي عند ذاك أن لا أتحدث في غير التافه
من الأمور . إلى أن وصلني منك خطاب ذات يوم
تؤنّبني فيه على هذا الخمول وهذا الجمود فكان أثره في
نفسي عميقا . لقد أعاد إلى الذكاء والادراك . وإذا
عقلي الذي كاد يخبو بأفيون الشرق يضيء من جديد .
وصحوت لحظة أفكر وأتأمل . وانتهى بي الأمر
إلى أن النور يأتيني من الشاطئ الآخر . وان
الأمل معلق على شخص مثلك يهز لي المصباح من
الجهة الأخرى

توفيق الحليم

الاسكندرية في ١٩٧١

عزيزى اندريه

انى فى حاجة إلى حديثك . تسكلم فى أى شىء
أو فى لا شىء . اسمعنى صوتك واشبعنى ثرثرة واملاً
لى صفحات ... يكفى أن تلقى على الورق خطوطاً
فتكون لها قيمة ... قيمة نقدية . على الأقل عندي .
ولو انى أعلم انك اليوم لست محتساجاً الى نقودى ،
فقد صلح حالك وصرت ممن يسرون فى الحياة بنظام
واطمئنان . نعم ان لجرد الثرثرة قيمة نقدية أحياناً .
فانى أذكر يوم قرأت de profundis لأوسكار وايلد
أن صحت : هذ كاتب له قلم يبول ذهباً ! اجل حسب

مثله ان يقول للقلم اكتب . دون قياد من العقل
والتفكير ، كما يرعى الفارس للجواد العنان . ان من
الكتاب يا اندريه من تجد فيه هذه المزية العجيبة او
الموهبة الفريدة : انه معفى من انتقاء موضوع او تخير
قضية ، لأن عنده القدرة ان يجعل من مجرد كلامه
المرسل رسالا اشياء عالية القيمة . ذلك ان روحه
وحدها هي كل الفن والأدب . وان سر قوته في
تلك السجية الغنية والفطرة الخصبية . مثل هؤلاء
لا ينبغي ان نقول لهم اكتبوا فيما هو منتج او مفيد
انما ينبغي ان ننتظر فقط كل ما يخرج من مداد
أقلامهم ، كما ننتظر العسل من النحل دون ان نخبره
ان في عمله شفاء للناس . ما زلت تغمر احيانا غمرات
خفيفة لما أحمله لك من تقدير ، فتقول لى فى كل لحظة :
« ما بالك تحشرنى فى الأدب وتفسد حياة رجل
المصنع ! » كلا يا اندريه . ان الأدب لا يناقى حياة

المصنع . لأن الأدب هو الحياة . أو التعبير عن الحياة . انه الحياة كلها التي تحوى في جوفها المصنع وغير المصنع . ولقد كان « ايفان » رحمه الله عاملا وفيلسوبا . انت أيضا صاحب ذوق وفهم . اياك أن تشك في ذلك . مرة أخرى أقول لك : « استمع إلى قلبك . فالقلب هو أدق آلة في جسدنا تسجل الصدق ! » .

وبعد . هل قرأت كتاب « بوزيف ديلى »
عن « نابليون » ما رأيك فيه ؟

لقد جاء في البرقيات العامة خبر وقع على رأسى
كالصاعقة : هو موت « بول سوديه » كبير نقاد
عصرنا الحاضر فى فرنسا . يا للأسف ! لقد كنا
ننتظر مقالاته فى « الطان » كما ينتظر الحكم النهائى
الفصل فيما يختلف فيه النقد والنقاد !

أختم هذه الرسالة سريعا لأن موعد البريد قد

أزف . وسأحدثك في رسالتي التالية عن « كونسرتو »
سمعته في « الكازينو » : هو مضحك للغاية : إذ كان
فيه عازف « فرتيوز » . سأجتهـد في أن أصف لك
ما وقع ... م

عازف
فذه
فرح
ووقع
أن
إلى
هذه
ينتظ

الاسكندرية في . . .

عزبى اندريه

وأخيرا أعلنوا في البرامج وعلى الحيطان عن
عازف « فرتيوز » يوقع أحد كونسيرتات « باجانينى »
فذهبت كالمعتاد . بل بنفس أكثر انتعاشا وأشد
فرحاً ، فلقد ظفروا آخر الأمر بكونسرتو و بفرتيوز .
ووقف المايسترو « بونومى » ونفش شعره بيده قبل
أن يومئ إلى فرقته بمصباح . ثم التفت إلى يمين ثم
إلى يسار منتظرا قدوم العازف العظيم . وذكريتى
هذه الحركة بمثيلاتها حين كان رئيس الأوركستر
ينتظر دخول عازف شهير مثل تيبو أو هو برمان أو

عازفة مجيدة مثل إيريك موريني . لقد دخل على نفسه
الوهم والابتهاج بهذا التباطؤ المقصود وحسبت ان
العازف الداخِل قد أبطأت به سيارة « الرولز » لحدوث
خلل في الطريق . ولكن التفاتة منى إلى باب
« التواليت » هدمت كل هذا الخيال . فقد أبصرت
رجلا يتحشر في رندنجوت - من المؤكد انها ليست
له - وعلى صدره رباط رقبة « فاقع » اللون لا يتفق مع
سواد الرداء وعلى عينيه منظار غليظ لا يضعه غير
سماسرة القضايا ووكلاء المحامين ، وهو واقف بمشط
شعره على عجل بمشط (من الخشب الخشن نفش) .
فلما رضى عن « قيافته » التي تكبد فيها ما تكبد
ظهر مسرعا إلى المنصة وانحنى للجُمهور كما ينحنى
مشاهير العازفين . ثم التفت إلى « بونومي » ونظر
إليه من خلف منظاره السميك نظرة من يقول له :
« الأمر سائر على ما يرام ؟ » فرد عليه الرئيس

بابتسامة . لكن في شيء من التعالي . وحول نظره
بالمصا المرفوعة الى الجوقة . فارتبت في هذه النظرات
واستدرت نحو المنصة فاذا بي أرى مكان « السوليست »
خاليا . فادركت الحقيقة . هذا العازف الذى اعلنوا
عنه ليس سوى العازف الأول للفرقة هياؤه وموهوه
وأدخلوه علينا كأنه عازف « فرتيوز » . على انى مع
كل هذا أقول لا بأس . ان « بونومى » رئيس
أوركستر ضرورة . ولكنه على كل حال رئيس
أوركستر . حقيقة انه يؤدى عمله كما يستطيع وتستطيع
له مواهبه الخالية من الشعر والرقه والدقة . فهو لو
أدى قطعة مثل قطعة « السحب » لكلود ديبوسى
لأسقط على رؤوسنا أحجارا من السماء . انه لا يدرك
معنى لذلك الذى تسمونه معشر الفرنسيين nuance .
وكثير من يتهمون العميق مغلق عليه . ولعل المارش
وال *allegro forte* هو كل ما يمكن لمثله ان يؤديه .

وحتى هذه مادامت فيها عواطف - على الأقل عند
 يتهوفن - فهو يسقط منها العاطفة على الرغم منه
 فلا نسمع منها غير الدوى المادى ولا نلمس الا الهيكل
 الخارجى". أين هذا ممن أسمعوننا « الغبار الموسيقى »
 la poussière musicale . على حد تعبير « هونجر » .
 وابن هذا ممن فسروا موزار وفاجنر تفسيرات تعتبر
 فى ذاتها خلقاً جديداً . لقد عرفت طريقة « برونو
 فالتر » مجدد موزارت . وكان بودى لو اعرف طريقة
 « فان هوسلن » مجدد فاجنر ، وهو من يقولون عنه
 انه حول ال Grondements souterrains التى تملاً
 اعمال فاجنر الى موسيقى صافية نقية كأنها موسيقى
 موزار . وسواء كان فاجنر حقاً بهذا الصفاء النفسى
 الذى كان عليه الطفل الأسمى ، وهو ما اشك فيه .
 وسواء كان يريد فاجنر ذلك ويوافق عليه لو كان حياً
 أو لا يريد . فان المحاولة فى ذاتها تستحق المشاهدة .

لنقول بعدئذ هل نفضل فاجتر الحقيقى أو فاجتر
 المدخول عليه . انها على كل حال « بدعة العصر » فيما
 أرى . ذلك الذى يسمونه « تجديد الشباب » للآثار
 القديمة . أهو تأثير العلم الحديث وحامه الدائم بأعادة
 الشباب الى الغدد المنهوكه والجسم الهرم ؟ ان آثار الذهن
 قد بدأت تتأثر هذه النظريات . وان كلمة « تجديد
 الشباب » للمؤلفات القديمة تجدها على لسان الكثيرين
 اليوم . تذكر عمل الشاعر الفرنسى « كوكتو » فى
 تجديد أعمال شاعر الأغريق « سوفوكليس » ! أى
 خطر على تراث الأقدمين لو تمكنت من الناس مثل
 هذه الأفكار . إلا أن يكون فى ذلك العمل حياة
 للقديم من خلال الأطار الجديد . فهو ~~اذن~~ عملية
 انتقاذ وبعث وتحميل . وعلى ذكر العلم الحديث واثره
 فى مسائل الفن والفكر . اخبرك بأمر كتاب عجيب
 هو كتاب ulysses لجيمس جويس . لقد كان لهذا

الكتاب صيت رددت صدهاء جذراف صالونات
الأدب بباريس ، حتى قبل ان يترجم الى الفرنسية .
وقد عد من قرأه من أدباء الفرنسيين (ونادر من
قرأه إذ ذاك) أدبياً ذواقه لا تخفى عليه خافية ، شأن
كل عمل يتعهد بترويجه وإذاعته من يسمونهم
les snobs . وهم لا يذيعون الا كل عمل معجز .
والمعجز في هذا الكتاب انه يبلغ نحو ٩٠٠ صفحة من
الورق الكبير والحروف الصغيرة وكله إملال وإضجار
فهم واثقون من ان الكثرة الغالبة سوف تعجز عن
مطالعة هذا الكتاب . غير ان هذا ليس معناه خلو
الكتاب من القيمة الأدبية . ان التطويل الى حد
الأضجار والأملال قد سبق ان قاسيناه في كتب
مثل « الحرب والسلام » لتولستوى ، وخرجنا مع
ذلك فائزين . على ان فكرة جيمس جويس في هذه
القصة الطويلة التي تركز على « المنولوج الداخلي »

هي ان يترك بطله يتكلم بكل ما يرد على خاطره
ويخرج كل ما يخالج نفسه . كل فكرة فاضلة او سافلة
خيرة او شريرة تافهة او قيمة لا بد ان تسجل . فهو
يريد ان يقول لنا ان (البسيكولوجية) الصحيحة هي
ان لا نتخير اشياء وننبذ اشياء مما يدور في نفوس
الاشخاص . انما يجب ان نثبت كل ما في نفوسهم
حتى مجرد الخواطر الفجائية الطارئة . وهو عمل لا
يستقيم معه بالضرورة بناء القصة ولا يسمح به مجال
الصفحات المعقول . لذلك ضرب المؤلف الانجليزي
بالبناء الروائي عرض الحائط ثم لم يبالي ان يبلغ بعدد
صفحاته ما شاء وشاءت له الحماقات التي تمر بخاطر
بطله في ساعة من الساعات . وهي ليست حماقة
واحدة وليست حماقتين . ولكنه عدد لا ينتهي ولا
يمكن ان ينتهي . وهل تنتهي السخافات التي تمر في
لحظة برأس انسان ؟ قد كنت اظن ان مثل هذا

الكتاب يظهر ثم يمر في سلام . ولكن المروع
في الأمر هو ان يصبح فيما أرى (بدعة العصر)
فيها هو ذا كتاب لألدس هكسلي Point counter point
ترى فيه احد الأشخاص يبدو متبرما بمعشوقته وقد
خبت جذوة حبه ويريد لتلك الصلة بينهما حسن
الختام . هذا حسن . ولكنه يحدث نفسه فاذا هذه
النفوس لا تحدثه في الحب وحده ولا في تبكيت
الضمير ولا في التريث والشفقة بل ولا حتى في الشعر
والفرن بل تحدثه في الفلسفة وفي الاقتصاد وفي
الاشتراكية ثم بعد ذلك ترتل اشعارا لشكسبير .
واذا استمرت هذه النفس في حديثها على هذا النحو
فان المؤلف لن يستطيع قطع هذا الحديث قبل ملء
جزءين أو ثلاثة اجزاء . انى لست ساخطا على هذا
النوع من التأليف كل السخط . فاني مدرك لقيمة
مثل هؤلاء الروائيين ، مستطيع ان اقرنهم بالروس من

بعض الوجوه . فان دقة التحليل والنزول الى أعماق
النفس والأفاضة في تلوين الأشخاص والاحاطة بكل
ما ينبض في قلوبهم من خوالج تكونت أو ما زالت
في دور التكوين . كل ذلك مشترك بين هؤلاء
الانجليز وبين الروس العظام مع هذا الفارق : ان
ما عند الروس من نزعة صوفية *mystique* ! يقابله
ما عند الانجليز من نزعة انتقادية (*satirique*) غير
انني لا اظن مطلقا ان نظرة الروس للبسكولوجية
الروائية بلغت هذا الحد الذي بلغه الانجليز اليوم .
انما هي بدعة تولدت بتأثير علم النفس الحديث . انك
قد تجد عند الروس شيئا من هذا « المنولوج الداخلي »
ولكنهم لم يضعوا فيه الا كلاما مختارا متسقا مع بناء
القصة وجوهر الفكرة . أما أن يلقى فيه كل شاردة
وواردة كأنه طبق خضروات متنوعة فهو ما لم
يصنعوه . ان « السلطة » الروسية *la salade russe*

من ابتداع الروس حقاً ولكنهم لم يدخلوها على مائدة
الفن الروائي الروسى !

ارجو منك يا اندريه ان ترتاب قليلا فى أحكامى
الأدبية والفنية . فانا كما تعلم احب بطبعى البناء
السليم فى كل خلق . ولا شئ يرضى غريزتى الفنية
مثل الصحة فى البناء ، سواء كان هذا البناء لهيكل
أدمى أو فى . وقوة البناء لا تتمثل فنياً ابرز تمثيل
الا فى فن العمارة وفى السانفونية الموسيقية وفى القصة
التمثيلية . ولعلك تستطيع تحليل اى شئ فى القصة
التمثيلية فهى كما ترى الزم واقرب الى دقة البناء من
القصة المروية . وقد تستطيع أخيراً أن تعمل حبي
لصحة البناء بأنى معتل ببناء الجسد . فنحن لا نحب
أحياناً إلا ما ليس فى يدنا .

نعم ان الفن عندى بنيان جميل . لذلك لا تنتظر
منى ان احب هذه الطريقة الحديثة فى « المنولوج

الداخلي « . قد أحبها على شريطة : ان نخرج قصة
كهنه من دائرة الفن لندخلها في دائرة العلم . وان
نطلق على مثل هذه القصة اسم « سجل أو ملف
نفسية فلان » . ان الفن هو كما قال « هكسلي » نفسه
في ذات الرواية : ليس هو الحقيقة وليس هو الواقع
بل شيء آخر : انه الحقيقة مقطرة ومصفاة كيميائيا .
هذا صحيح . واذا كان الماء يصفى ويقطر للناس في
معمل كيميائي ، فان الحقيقة أيضا تصفى وتقطر للناس
في معمل المؤلف الروائي .. وهذا المعمل هو : الفن .
نعم . ان الفن ليس الطبيعية ولا الحقيقة ، انما هو
تقطير الطبيعة والحقيقة من خلال « أمبيق » الفنان .
اذا كان الأمر كذلك فلماذا تتجه الرواية الحديثة الى
إبراد الحقيقة بواسطة سجل يرصد فيه ما حدث في
الدقيقة والثانية داخل نفس فلان كما تسجل الأرصاد
الجوية ؟ اني علي كل حال لست نادما على قراءتي هذه

القصة...

فلقد جعلتني استكشف في نفسي القدرة على
المطالعة في الانجليزية مباشرة . نعم أن تركي هذه اللغة
أعواما طويلا لم يؤثر الا في قدرتي على المحادثة بها .
لماذا اذن انتظر ترجمة مؤلفات برناردشو الى
الفرنسية وانا مستطيع فهمه في لغته الأصلية . انه
الكسل ولا شيء غير ذلك . اني كسلان بالطبع .
ولكني الآن أقرأ بالفعل برناردشو في الانجليزية
واندوق سخريته ولذعه وفكاهته واستعذب أسلوبه
السهل السلس ذا الروح والرائحة ...

على ذكر الأدب الانجليزي أحب أن أقول
لك أمرا لفت نظري منذ غرقت في دراسة هذا
الأدب . انه أدب مغامرات . ولا يجب أن يطلق
عليه غير هذا الوصف : مغامرات بأوسع معانيها
وأجملها وأشرفها . فأعمال والتر رالي وسكوت ودانيال

دفو (روبسون كروسو) وروبرت لويس ستيفنسون
(جزيرة الكنز) هي مغامرات بحرية. وأعمال ديكنز
وجالسورثي هي مغامرات اجتماعية. وأعمال شكسبير
ويرون مغامرات نفسية إنسانية. وأعمال ما كولي
وكارايل مغامرات تاريخية. وأعمال ويلز (في قصصه
العالمية) وبرناردشو خصوصا في Back to Methuselah
ليست سوى مغامرات ذهنية. إن الأدب الإنجليزي
مهما تشرحه تجد روحه وجوهره في كلمة «المغامرة»
لعل هذه الجزيرة المنعزلة قد طبعت نفوس أهلها
بهذا الطابع الغريب: حب السفر عبر البحار بحثا
عن المجهول: بحار الأرض أو بحار المجتمع أو بحار
الماضي أو بحار النفس أو بحار العقل...

[هذا لا تجده في الأدب الفرنسي مثلا. إنه أدب
«الشكل» la forme في جماله الساحر. أدب المحادثات
اللبقة النبيلة. أدب التفكير الرائق الهادي. أدب

التعبير الرائع والمنطق البارع . هو أدب الوطن
الفرنسي والصالون الفرنسي والصيحة الفرنسية القائلة
ان « باريس » هي عاصمة الكون ولا شيء وراء
باريس . بالاختصار هو أدب الاستقرار لا أدب
الضرب في البحار ...]

وبعد . تقول لى انك سرت فى جنازة المأسوف
عليه « بول سوديه » وانك مررت مع الجمع حول
التابوت وتناولت قمما فضيا حركته فى الهواء
بعلامة الصليب ونضحت به الجثمان ، ثم سلمته لمن
خلفك فى الصف . ثم تقول انك كدت تضحك
فتسخط عليك الناس لأنك تذكرتنى فجأة وأنا فى
مثل هذا الموقف يوم تشييع جنازة زوج بنت مدام
شارل وما وقع لى بالتماس من أشياء تثير الابتسام .
آه لا تذكرنى يا أندريه . لقد كان حقاً يوماً محرجاً
لكنه انتهى بسلام . . .

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

اليوم الخميس ، ولم تصلنا رسالة الخميس . وقد
عودتنا ذلك ووعدتنا به . هلا رأيت بول سوديه
ومواظبته على ارسال مقالات الأربعاء لجريدة
« الوقت » عشرات الأعوام بانتظام ، لم ينقطع في
خلالها إلا لموتين : موت زوجته وموته هو ! وهل
تظن أنك أقل من بول سوديه في « وقتي » أنا ؟
على أنى أسأل لك عمرا أطول من عمره ، وأعطيك
أجرا أكثر من الأجر الذى كانت تعطيه اياه
جريدة « الطان » لو كنت تقدر قيمة الود ! تستطيع

نيتشه « وما قوله في les esthéticiens الذين شرحوا
لنا ونقدوا فن فيدياس وبوليسكليت وبراكسيثيل وهم
لم يصنعوا قط تمثالا من الطين أو العجين ؟ وما قوله
في (جول لستر) و (سارسي) و (تين) وقد قضوا
حياتهم ينقدون فنونا لم يمارسوها قط بأنفسهم . حتى
العرب ونقاد الشعر العربي في آدابنا (مثل « الأصمعي »
و « حماد عجرد ») لم يمارسوا هذا الفن مع روايتهم
لكل ما قيل فيه . وإني لأذكر قول أحد نقاد
العرب هؤلاء وقد سأله (كما سأل فاندريم بول
سوديه) لماذا لا يقرض الشعر ؟ فأجاب : أنا كالمسن
يشحذ ولا يقطع . ولكن فاندريم يريد أن يقطع
أوصال جثة خصمه وكفى !

اني لم أزل أطالع رسالتك الماضية في اعجاب .
ان فيها أشياء أقرؤها ببطء فتؤثر في نفسي تأثيرا
شديدا . ذلك انها تجعلني أتصور أني مازلت أقيم في

حجرتي بشارع بلبور . واأسفاه ! بنخيل إلى أنى
نسيت رقم الحجرة في الطابق الخامس . أظنها كانت
رقم (٤٨) . لأنها (هـ) كانت تقطن الحجرة رقم
(٣٨) ... انى إن نسيت رقم حجرتي فلن أنسى مطلقا
رقم حجرتها . أما البيغاء ... آه يا اندريه . ترى أين
هو الآن ؟ أو لم يزل يحمل اسمى كما كان ؟ .. فيظل
بذلك اسمى يردد صدهاء في باريس ... على الأقل حتى
يموت البيغاء ! انى أعرف أن هذا الطائر طويل العمر !
نحن معشر المصريين نفكر دائما في تخليد أسمائنا .
ولقد اتخذ جدى الأهرام لهذا الغرض . ولسكنى أنا
اكتفيت باتخاذ بيغاء ... على قدر مالى واستطاعى .
ألا ترى أنى مصرى بالدم والوراثه ؟ أندريه ... اكتب
إلى كثيرا ... ذكرنى بحجرتي فى شارع بلبور .
ترى من يقطنها الآن ؟ أحد العمال ولا شك أو احدى
العاملات . فهذا حى عمال وعمالات . ومن يدري

فقد يكون من سكانها اليوم محبان عاشقان . . أو
زوجان سعيدان ... أما أنا مع الأسف فلم أعرف
في هذه الحجرة غير حياة شبه زوجية فاترة مع ساشا
شوارتز . وحياة حب مع « إيمان دوران » لم يدم
هناؤه طويلا . . م

الاسكندرية في . . .

٩

عززي اندريه

تسألني من هي ساشا شوارتز ؟ عجباً ؟
ألا تذكرها ؟ أو لم أقص عليك قصتها من قبل ؟ ..
أهان أمرها على بهذا القدر ؟ أم اني لا أحب أن
أذكر دائماً غير القصص الذي لم يتم ولا يمكن أن
يتم .. ؟ ! حدث ذلك يا سيدي في مساء يوم جميل
جلست فيه مع مسيو هاب إلى مائدة مشرب صغير
bistro في مونمارتر . وكنا نتحدث في أمر حوار
صغير كنت قد كتبته ودفعت به إليه ليري رأيه فيه .
فراه خفيف الروح قوى التركيب سلساً سائفاً

يَسْتَلِبُ لَبَّ الْقَارِيءِ اسْتِلاباً... وقال لي : « اني أراك قد اعتصرت مولير وبومارشيه وماريفو اعتصاراً »
ففرحت بقوله هذا كثيراً وطلبت كأساً أخرى من
(الپرنو) ... وما كدت أتناول منها جرعة حتى دخلت
المشرب عادة ذات جسم ذكرني بتمثال افرووديت .
وكان في صحبتها شاب برزى اللون جميل الطلعة كأنه
أبولون ... ولست أدري أسكرت من الپرنو أم من
أطراء صاحبي أم من روعة هذه الغادة ... كل
ما أذكر أني تمايلت على مسيو هاب صاحبا : « ناد
الجرسون واطلب سكيناً ! » فقال دهشاً : « سكيناً ؟
تصنع به ماذا ؟ فقلت : « أقتل نفسي عند أقدام هذه
المرأة حباً وجنوناً وغراماً !... » فالتفت (هاب)
إلى المرأة ثم إلى صاحبها وقال لي : « صدقت . ولكنها
كما ترى ذات رفيق وأى رفيق .. لا أمل لك أيها
الصديق ... إذا أصررت على السكين فاني أنادى لك

الجرسون ! » ولبثنا ساعة ننظر إليها ونتحسر ...
ثم نهضنا وانصرفنا كل إلى شأنه . ومضت أيام قلائل
وإذا مسيو (هاب) فى أثرى يبحث عنى فى مظانى .
حتى عثر بى فبادرنى صائحا : أين أنت ؟ أين أنت ؟
أيها الرجل السعيد ... افرح بسرعة فان عندى لك
خبرا سارا ... انها لك منذ اليوم خالصة مخلصه ! .
فلم أفهم مراده بادى الأمر وقلت له : عمن تتكلم ؟
فقال : عنها هى .. عن تلك المرأة . فقلت : أى
امرأة ؟ فضاق صدره بى : عجيباً لك ... أى
أمرأة ؟ المرأة التى رأيته فى المشرب منذ أيام ...
فتذكرت كل شىء وصحت : حقاً .. حقاً ... أخبرنى
ماخبرها ! فقال : « ياللعظ عندما يواتى الانسان !
لقد كنت بهذا المشرب البارحة واذا بى الملح امرأة
جالسة إلى مائدة بجوارى أمامها (بوك) من البيرة لم
تمسه شفتاها . وقد أخفت وجهها فى منديلها

وطفقت تبكي بكاء مرّاً . . . ففجبت لأمرها ولبثت
أرقبها حتى تبينت آخر الأمر أنها صاحبتنا (افرو ديت)
فتحمنت منها فرصة وحادثتها . ولم أزل بها حتى
اطمأنت إلى وكشفت لي عن بلادها : صاحبها البرتزي
اللون وهو أسباني يدعى (جارسيا) قد هرب إلى
بلادهم وهجرها بلا مأوى ولا نقود ولا معين . وهي
أجنبية هي الأخرى - ألمانية أو روسية لست أدري
على التحقيق .. اسمها (ساشا شوارتز) . وهي تجيد
الفرنسية . وقد كانت تعمل (سكرتيرة) في إحدى
وكالات السفر ، فالتقت بهذا الشاب الأسباني فاستتاب
لبها وأخرجها من عملها . وختم قصته معها على هذا
النحو . وليس من اليسير أن تجد سريعاً عملاً يقيها
شر الجوع . فهي لا ترى في رأسها غير أفق حالك
تبدو منه فكرة الانتحار كأنها شمس سوداء ...
فبادرتها صائحاً مرتاعاً : تموتين ؟ انت ؟ مهلاً

يا سيدتى مهلا ؟ تموتين وعندى شخص يموت فيك
حباً وهياماً وغراماً ! » . فنظرت إلى بعينين كلهما
دهش واستفهام . فأخبرتها بخبرك وضربت لها موعدا
مساء اليوم بذلك المشرب لأقدمك إليها . كل أمل
هذه المرأة الآن هو أن تجد لها مأوى ومعينا .
ولاشك عندى فى أنك مستطيع أن تحقق لها هذا
الأمل ... » تصور ذهولى يا اندريه وأنا أسمع من
مسيو « هاب » كل هذا ... لقد حسبته يمزح .
ولكن الموعد حانت ساعته . فلم أر فائدة فى اللجاج .
فجلست معه أنتظر . وإذا بالفعل ... أبصر لدهشتى
« افروديت » تدخل علينا فى حال كسيرة . وقد
أفسدت الدموع أهدابها وأنساها الحزن الالتفات إلى
هندامها . فنهض « هاب » لاستقبالها . ونهضت أنا
أيضا كالخجل المأخوذ . وحياتها صاحبى أطف تحية
وقال لها باسمها وهو يقدمنى إليها : « كنت تريدن

الانتحار يا آنسى . فها هو ذا شىء أهون قليلا
من الانتحار .. » فنظرت إلى الفتاة بابتسامة وديعة
فيها أثر الحزن وفيها أيضا الاستسلام . وكأن كل
شىء فيها ينطق : « ليس الآن أوان الفحص والفرز
والاختيار » وتركنا « هاب » وقد رأى أن مهمته قد
انتهت . فلبثنا وحدنا لحظة صامتتين . لا أدري ماذا
أقول ... إلى أن سألتها آخر الأمر عن أمتعتها
فقالت لى أنها مودعة عند صديقة لها متزوجة .
أضافتها الليالى السابقة . . ولم يعد من اللائق أن
تقرض ضيافتها على أسرة أكثر من ذلك . وكانت
تلك الأسرة تقطن ضواحي باريس والوقت ليلا .
فراينا أن نرجى طلب الأمتعة إلى الصباح وذهبت
بالغادة الحزينة إلى أحد المطاعم فتعشىنا . وأنا أحاول
اضحاكها والتسرية عنها . ثم قدتها إلى مسرح تعرض
فيه رواية « فود فيل » مفرحة . فانتعشت قليلا .

وضحكت مع الضاحكين . وخرجنا وقد أنست إلى
بعض الشيء . وبدأت تتوطد بيننا الألفة . وذهبت
بها إلى حجرتي بشارع بلبور . فسرت كثيرا بالمطبخ
الصغير الملحق بالحجرة . وما فيه من أدوات لشي
اللحم وجهاز لموقد يشعل بالغاز . وسألتني أن أعيرها
تلك الليلة « بيجاما » مما أرتديها للنوم . ففعلت .
وتشاغلت بالنظر في كتيبي المكدسة فوق المكتب .
ولك أن تصدق أيها الخبيث اندريه أو لا تصدق .
فو الله لم أحاول اختلاس النظر إليها وهي تخضع ثيابها
ولا أذكر أين فعلت ذلك . هل خاف خزانة الثياب
أو في المطبخ . كل ما أذكر أنها طلعت على خاة
وهي مرتدية « البيجاما » ويكاد نهدها البارزان
يفتقان الرداء . فوقع الكتاب من يدي . فابتسمت .
ابتسمت افروديت . وكانت ليلة لا تنسى ... وبزغ
الصبح . وفتحت عيني وقد راحت السكره وجاءت

الفكرة . ونظرت إلى تلك المرأة النائمة في فراشي
وقلت لنفسى : « ماذا أنا صانع بها ... اليوم الأحد
وهو يوم زيارتي المعتادة لمتحف اللوفر . هل أصحابها؟
إنها لن تطيق المسكث في هذا المتحف ست أوسيع
ساعات كما أفعل . وإذا احتملت فإنها لن تستطيع
الوقوف ساعة أمام الصورة الواحدة كما أصنع . وإذا
فعلت فإنها لن تسكت عن بعض التعليقات السخيفة
التي تبدد جو تأملاتي وتفسد على نظام تفكيري .
ثم إنها ستغير برنامج حياتي . انى الآن آكل
وأعمل وقما أريد وحيثما أريد . ان حياتي غير المقيدة
بمكان ولا بزمان ولا بانسان ستصبح منذ اليوم داخل
إطار محدود من صنع هذه المرأة . إنها عبء وتبعة .
إنى لم أخلق لأسير فى الحياة وامرأة معلقة بذراعى !
ونهضت من فراشى على عجل وارنديت ثيابى وكتبت
كلمة تركتها لها فوق المكتب خلاصتها : « انى رجل

بوهيمي لا يصالح لرعايتك والسهر على راحتك .
فأرجو أن تحليني من تبعه إسماعيل . . فاني لست
لهذه النعمة بأهل . . « .. وألقيت عليها نظرة أخيرة
وهي في نومها العميق المطمئن ... وانصرفت . ذهبت
توا إلى مسيو « هاب » وأخبرته بما حدث فكاد يصعق .
فهدأت من روعه وضاحكته قائلاً : « لا تنسى أني رجل
شرقي متوحش . المرأة عندي يجب أن تجلس في « الحريم »
أو على الأقل لا يكون لها دخل كبير في حياتي . اذا
ارادت « ساشا » أن تتخذ من مسكني مأوى لها
فلا مانع لدي . . . على شرط أن تتركني حراً . . فلا
تخرج معي . ولا تشعرني بأن لها في حياتي وجودا .
قفهم « هاب » مرادى وقال : « لا بأس . أظنها ترضى
بهذا الشرط . . ولكن نفقات طعامها ؟ فقلت له :
« في مقدوري أن أعطيها كل يوم ثمانية فرنكات

أو تسعة (١) « فقال « هاب » : « لغداؤها وعشاءها معاً ؟ »
 قلت « نعم » . فقال : « اجعلها عشرة فرنكات ... »
 فقبلت . وتعهد هو بأن يلقاها في ذلك اليوم ليعرض
 عليها هذا الوضع الجديد . وانصرفت أنا إلى متحف
 اللوفر ففرقت طول يومى فى قاعة الفن الاغريقى
 متنقلا بين تماثيل « بالاس » و « ابولون » و « فينوس »
 فى اوضاعها المختلفة .. آه يا اندريه ... ان فن الاغريق
 هو تجميل الطبيعة إلى حد اشعارها بنقصها ...
 لكنهم يريدون ان يقولوا للطبيعة : انظرى .. كان
 ينبغي ان تصنعى هكذا ! .. ومضى اكثر النهار
 فدخلت إلى قاعة الفن المصرى القديم . ولا يفصل
 بينها وبين قاعة الاغريق - كما تعلم - غير باب صغير .
 ما كنت انخطى العتبة حتى شعرت بفرق عجيب ...
 انه عالم آخر ... ان فن مصر القديمة هو تحد صارخ

(١) أى ما يعادل وقتئذ ثمانية قروش مصرية .

للطبيعة .. لكأنهم يقولون للطبيعة : انظري ...
لا شأن لنا بك .. ولا بمخلوقاتك . إننا نستطيع
من مخيلتنا ومن تفكيرنا أن نخرج مخلوقات أخرى
غريبة عجيبة لم تخطر لك علي بال ... » . على أن
الذي استلقت نظري في هذا الفن هو أن
أسلوبه قد أوحى الى أسلوب الفن الحديث في العصر
الحاضر إلى حد كبير . وخرجت من اللوفر وأنا أقلب
في رأسي الملاحظات والمقارنات ... وذهبت إلى
مطعم صغير أتناول عشائي ... ثم عدت إلى مسكني
فوجدت المسكينة « ساشا » قد غادرت تاركة لي
هذه الكلمة فوق المكتب : « سيدي ... انك
لا تريدني . وهذا هو كل مافي الأمر . ربما خيبت
ظنك . ولكنني أبحث عبثا واستعرض في ذاكرتي
كل ما حدث أمس ... في المساء والليل على أجد اللحظة
التي أكون قد خيبت ظنك فيها . وليس في مقدوري

سؤالك أو الاستفسار منك . فلقد ذهبت تاركاً لى
 تلك الكلمة التى تدعونى فيها - على نحو ظاهر -
 إلى الرحيل . اذن ... فلم يبق لى إلا أن أسير فى
 طريقى ... أود على كل حال لو حدثتكم مرة أخرى .
 فاذا لم تر بأساً فى ذلك فانى أرجو منك أن تبعث إلى
 كلمة بعنوان صديقتى المسطور فى أعلى خطابى ..
 فى الحق يا اندريه انى تأملت وندمت . لقد كان تصرفى
 خالياً من الرفق والرحمة . ولبثت أفكر وانا اجيل
 النظر فى حجرتى الخالية ... ان وجود هذه المرأة
 ها هنا ليس عبئاً بالقدر الذى تصورته . انها كانت
 تملأ المكان على كل حال بعطرها النسائى فتغير قليلاً
 من هذا الجو المغبر بتراب الكتب . ما أجملها عندما
 كانت مرتدية ثوب النوم الذى أعرتها اياه البارحة .
 ليتها تعود . ما أوحش الليل بدون امرأة ! وقضيت
 ليلة مضطربة . وفى اليوم التالى ذهبت إليها فى مسكن

صديقتها، وحملتها هي وامتعها في سيارة وعدت بها
إلى حجرتي بشارع بلبور. واخبرتني في الطريق انها
التقت بمسيو هاب في اليوم السابق وانه أخبرها
بالشرط والنظام الجديد. فعاهدته على القيام بتنفيذه
على ادق وجه. وهكذا استقر بنا الحال أياما: وكان لحجرتي
مفتاحان استبقيت واحدا واعطيتهما الآخر. فاذا
كان الصباح تركت لها فوق مكتبي الفرنكات
العشرة ثم انطلقت حرا طول يومى فلا أرى لها
وجهاً إلا ليلا.. هنالك أحيان.. يحلولى فيها ان
ألزم حجرتي لأكتب الساعات الطوال... فما كانت
تنبس بحرف. بل كانت تقرأ. تقرأ كل ما يقع
تحت يدها من كتبى المكسدة. لقد عجبت اول
الأمر لكثرة مطالعتها ولأجادتها لغات عدة...
إلى ان قصت على نساها... وعلمت انها ابنة مدير
احدى شركات السكك الحديدية فى ألمانيا... فلما

انهارت الشركة بعد الحرب بانهييار المارك والنظام
الاقتصادى الألمانى ... انهارت اسرتها أيضا ...
فمات أبوها وتشرد اخوتها واخوانها فى أرجاء أوروبا ..
ونزحت هى إلى فرنسا حيث وجدت ذلك العمل الذى
شغلته فى وكالة السفر .. حتى فقدته هو الآخر جريا
وراء قلبها .. انها بوهيمية هى الأخرى من الطراز
الأول . على أنها لم تفهمنى أيضا كما كان ينبغى .
فانه لم يمض على نظامنا هذا عشرة أيام حتى نسيت
مراميه واغراضه . وإذا هى تترك لى فوق مكتبي
هذه الكلمة : « عزيزى .. انك تتغيب طويلا .
لكأنك تعتمد الهرب من حجرتك ومن وجودى .
على الرغم من الجهد الذى أبذله حتى لا اضايقك او
اثقل عليك . وحدثك هذه تكاد تشعرنى بأنها
مظهر استياء منى . وانى لأبحث عبثا عن السبب .
يا صديقى العزيز .. انى لأرجوك من كل قلبى ان

تخبرني عما لا يعجبك مني . قلها بصراحة .. فربما
كان في الامكان رتق رباط الثقة والاطمئنان الذي
يصل احدا بالآخر . هذه الثقة ... وهذا الاطمئنان
الذي تخلو منه نفسى في هذه اللحظة .. ربما كنت
مخطئة في هذه التقديرات . ربما كنت مسرفة في الوهم
فأخذت شغلك بعملك على انه شغل عني . مهما يكن
من أمر طمئنى بكلمة . إني حزينة جدا . إني خارجة
استنشق بعض الهواء وأرفه عن نفسى قليلا . ولكنى
أرجو أن تكون على ثقة من أن إخلاصى هو لك
وباق لديك . . . « الواقع يا اندريه انى عجبت لهذا
الخطاب . إن الاخلاص او الحب او اى عاطفة من
هذا النوع لم تكن داخله ضمن الشرط بأى حال .
وإنى لأعلم أن « ساشا » لم تحبنى على الاطلاق .
حقيقة هى لم تذكر لى شيئا عن صاحبها الاسبانى منذ
مجيئها . ولكن ليس معنى ذلك انها نسيته . لقد

كانت تقرأ ذات ليلة في الفراش كماداتها قبل النوم .
وكننت انا اكتب على مكتبي او اطالع . وإذا بس
اسمع صوت عبرات مكتومة فرفعت عيني فوجدتها
تحاول اخفاء بكائها . فسألتها عما بها . فكانت صريحة
وقالت إن يدها وقعت تلك الليلة على « دون كيشوت »
واقاصيص نموذجية من أعمال سرفانتز فغمرها في
ذكريات .. ثم قالت وهي تمسح دموعها بيدها :
« لم أكن أعلم أني اجد هنا كتباً اسبانية » . فقامت
لها : « عجباً ! او كنت تريدن ان اتجاهل الأدب
الاسباني وأستبعد مؤلفات « سرفانتز » ، ومسرحيات
« كالدرون » و كوميديات « لوب دى فيجا » لأن
لك خليلاً اسبانياً ؟ » . اجل يا اندريه .. لم يكن بيننا
حب قط .. ولا أذكر اننا تبادلنا كلمة واحدة فيها
حرارة العاطفة الملتهبة . هذا شئ ، لا يمكن ان يحدث
مع امرأة موجودة . موجودة امامي في كل وقت .

ان اللحظة الوحيدة التي احببتها فيها حقاً هي ساعة
دخولها المشرب اول مرة مع صاحبها الاسباني .
انها كانت رائعة . لأنها كانت شيئاً في السماء مثل
كوكب يتسلاًلاً لا يمكن ان تمتد اليه يدي .
ولكن هذا الكوكب ما لبث ان وقع في كفي فاذا
هو مصباح ضئيل .. يحتاج الى يدي القاصرة لئلا
بالزيت وتحميه من التحطم والسقوط . اني لم ازل
احب « إيما » لأنها شيء بعيد .. غير موجود في
كل وقت .. يرتفع إلى غناؤها من نافذتها كأنه شعاع
يأتيني من بعيد . انها اعطتني بعض اسرار نفسها
وجسمها .. ولكنهم مع ذلك ليست في يدي . شأنها
شأن الطبيعة التي تعطينا وتستعصى علينا . ان الحب
قصة لا يجب ان تنتهي .. قصة إيما مستمرة لا تريد
ان تنتهي . ان الحب مسألة رياضية لم تحل ... ان
جوهر الحب مثل جوهر الوجود . لا بد ان يكون

لا
تنتهي
بغير

فيه ذلك الذى يسمونه « المجهول » او « المطلق » .
ان همى (الحب) عندى هى نوع من همى (المعرفة)
واستكشاف المجهول والجري وراء المطلق .
ماذا يكون حال الوجود لو ان الله قذف فى وجوهنا
نحرن الأدميين بتلك المعرفة او ذلك المطلق
الذى نقضى حياتنا نجري وراءه ؟ ! لا يستطيع تصور
الحياة يومئذ . انها ولا شك لو بقيت بعد ذلك لصارت
شيئا خاليا من كل جمال وفكر وعاطفة . فكل
ما نسميه جمالا وفكرا وشعورا ليس الا قبسات
النور التى تخرج اثناء جهادنا وكدنا وجريتنا خلف
المطلق والمجهول ! لو ان « ايما » قبلت ان
تترك حجرتها كما عرضت عليها وتأتى لتقطن معى
فى حجرتى لكان حظها عندى حظ « ساشا » . هنا
الفرق بين (الغرام) و (الزوجية) . انى ادرك الآن
لماذا يفتر الحب الملتهب بين الخليلين إذا تزوجا . وقد

يعود إلى سابق اشتعاله اذا عادا خيلين ، لكل
منهما حياته المنفصلة [ان الانفصال هو الذى يغرى
بالاتصال] . لهذا كله كانت حياة (ساشا) معى
اقرب إلى الحياة الزوجية الخالية من اى عاطفة
قوية . فامعنى خطابها هذا الذى كتبته اليوم ؟
اتراها انوثة المرأة تنسى كل شرط وكل اتفاق ولا
تذكر الا الرغبة فى أن تشغل قلب الرجل ؟ ..
وماذا أنا قائل لها ؟ مادمت أوقن بأنها لا تحبني ...
وطويت رسالتها وطرحتها جانبا . ومضيت فى
عملى ومطالعائى ... إلى أن عادت ومعها نسخة
من صحيفة يومية . وأخبرتني مبتهجة بأنها
وجدت لنفسها عملا . فلقد قرأت إعلانا فى
الجريدة لأحد المسارح الراقصة يطلب فتيات لهن
أجسام جميلة تصلح لرقص المجموعة . فتقدمت
فى الحال وكان نصيبها الفوز . فما من شك ان

جسمها يعد خير نموذج لجسم المرأة الجميل . على
أن المسرح لن يعطيها بادئ الأمر أكثر من
خمسائة من الفرنكات في الشهر . وقالت لي وهي
تخلع قبعتهما وتثر في الهواء شعرها الأشقر :
« لا أستطيع كيف اشكرك على معونتك لي .
ولكنني أرجو منذ الغدا أن تسكف عن منحي
الفرنكات العشرة . على أني لم ازل بعد في حاجة الى
مشاركتك حجرتك . . لأن ربحي كما ترى لا يسمح
لي حتى الآن باقتناء مسكن خاص . . » فقامت لها :
« يا عزيزتي . . الآن فهمت سر خطابك . . .
أحسبت اني اهرب منك استياء وتبرما وضيقا بعبء
العشرة الفرنكات ؟ ! . . فخرجت تبحثين عن عمل ؟
على كل حال . انت حرة في شئون حياتك . واني
دائما عند تعهدي بأن أكون في معونتك وخدمتك
على الوجه الذي تريدن . » واستمرت حياتنا المشتركة

تجربى فى مجرى هادىء . فـكـلـا نـا لـه شـغـل مـنـفـصـل
 عـن الآخـر . وحيـاة مـخـالـفـة لـحـيـاة الآخـر . لا يـجـمـعـنا
 إلـا الـلـيـل فى فـراش وـاحـد / و لم يـخـطـر عـلى بـالى حـتى
 مـجـرد التـفـكـير فى نـوع عـمـلـيـنا أو المـقـارنـة بـيـن حـيـاتـى
 وحيـاتـهـما مـنـذ ذلـك الـيـوم . فـأنا طـالـب قـانـون وفـلسـفـة وعـلم
 وفـن وأدب وهى راقـصـة فى مـسـرح راقـص مـن طـراز
 « الفـولـى بـرـجـير » أو « المـولـان روج » ... لـست
 اذ كـر اسـمـه . . ولـعـلى لم أسـألـها عـنه ... و لا بـد انـها
 أخـبرـتـنى بـاسـمـه وبـخـبـره فلم احـفـل بـذلـك ولم أع مـا قـالـت
 ولم انـصـرف بـذهـنى عـما كـنت اقـرؤه وقـتئـذ أو أفـكر
 فـيـه . . ولم اشـمـر أنا بـتـغـيـير فى نـظـامـنا سـوى انـقـطـاعـى
 عـن مـنـحـها أى نـقـود . لـقـد حـدث تـغـيـير فى نـظـام حـيـاتـها
 هـى . فـهـى تـعـود إلى الحـجـرة كل لـيـلـة بـعـد التـمـثـيل فى
 آخـر قـطار مـن قـطـارـات المـتـرو . تـعـود « بـالـما كـيـاج »
 مـطـلـيـة مـن رأسـها إلى قـدمـيـها بـالـأحـمر والأبـيض .

فليس في مسرحها ولا في بيتنا حمام . فتدس جسمها
المطلي في الفراش علي هذه الصورة ... لقد انزعجت
حقاً أول الأمر يوم نهضت في الصباح فأبصرت
جسمي انا الآخر قد نضح بتلك الألوان ... ولكن
انزعاجي لم يقف عند هذا الحد . انها تعلمت التدخين
بالطبع وأنا أكره رائحة الدخان ... فالويل لي عند
ما كنت آوى إلى فراشي ذات ليلة مبكراً ... انها
كانت تعود آخر الليل والسيجارة في فمها وتسير في
الحجرة على أطراف قدميها حتى لا توقظني وتطرح
معطفها الثقيل عن جسمها العاري - إلا من «مايوه»
الرقص - وتذهب إلى المطبخ فتأني بشطيرة خبز
داخلها سردينه . فهي جائعة . وتجذب من بين كتبي
قصة لفلوير أو بلزاك أو تمثيلية لبورتوريش أو
لينورمان ... فهي مقيمة على عادة القراءة قبل النوم ...
وتضيء المصباح الكهربائي على رأس السرير . ثم

ترفع عنى الغطاء برفق وحذر... وتدخل الفراش
إلى جانبي بسردينها ودخانها وكتابها وأحمرها وأبيضها
وتحسب بعد ذلك كله أنها حرصت على عدم إيقاظي
وازعاجي! .. لطالما نهضت لأنهرها وأطاب إليها
أن تبطل هذا كله وتنام . فكانت تستعطفني
وتستهملني حتى تم قراءة القصة! « تتمين قراءة
القصة ؟ الليلة ؟ .. » الواقع أنها كانت سريعة القراءة
إلى حد كان يدهشني . أنها تم قراءة القصة التمثيلية
في ساعة واحدة . وأنا الذي أقرأها في يومين أو
ثلاثة . ولكن هنالك فرقاً هائلاً بين قراءتي وقراءتها .
أنها تقرأ للحكاية في ذاتها . أما أنا فلا تعينني حكاية
الكتاب بل يعينني فنه وسر صناعته وطريقة أسلوبه
في البناء وخلق الأشخاص ونسج الجوارح وحدث التأثير .
أني أعيد أحياناً قراءة الفصل الواحد .. بل الصفحة
الواحدة . مرات... لكم أعدت قراءة مولير لاشي غير

دراسة طريقته في تقديم الأشخاص ورسم أخلاقهم..
تلك الطريقة التي تختلف أحيانا وتتغير في كل رواية
من رواياته.. لذلك لم تكن قراءة «ساشا» تصلح
أساسا حتى للمناقشة ومبادلة الرأي.. وما كنت
أجنى منها إلا ذلك المصباح المسلط على رأسى والدخان
الذى يضيق به صدرى فى ذلك الهزيع الأخير من
الليل.. أنها كانت أحيانا تخشى غضبى فتقفز فى
مطالعها فصلا أو فصلين وتصل إلى خاتمة الكتاب
سريعا.. ثم تطفئ النور.. وتجذب الغطاء فوقها جذبة
تتركنى أنا فى العراء لم فلا أتمالك نفسى.. وأقرصها
فرصة تصرخ منها فى جوف الليل بما ويأتى النهار..
فتستيقظ فى الضجى.. وأبقى أنا فى السرير كسلا...
وتسرع هى إلى ثياب الخروج فترتديها لتذهب
إلى المسرح فى ميعاد التجارب «البروفات»...
لبثنا معاً فى هذه الحياة ثلاثة شهور.. لم يخل

نظامها أو قل « فوضاها » قيد شعرة . حتى تعودت
احتمالها . . فنذر غضبي أو ضجري . وبدأت هي تهتم
بما أعمل بعض الاهتمام فكانت تسألني أن
أطلعها على ما أكتب من حوار أو قصص ~~فما~~
كنت أقبل ذلك . . لست أدري لماذا . . . أما هي
فكانت تسألني رأيي في بعض الحركات الجديدة لرقصها .
فكنت أتبرم بذلك أيضا فهذا ليس في عرف رقصافنيا .
الرقص الفنى عندى هو « بافلوفا » و « فوللر »
و « ايزادورا دونكان » . ورقص الجوقات والمجاميع
فى الأوبرات الرفيعة أو فى « الباليه الروسى » أو
حتى فى الرقصات الدينية التى نراها منقوشة فى الفن
المصرى والهندي . ولكنها كانت تحرك سيقانها ورأسها
وذراعيها فى الحجرة فلا أجد مفراً من النظر . كنت
أقول لها ان رقصها هذا فى المجموعة جماله ليس فى
ذاته بل فى التناسق العددي لكميات الأذرع والسيقان

التي تتحرك في وقت واحد . وليته مع ذلك كان
بالروح الفنى المعروف فى راقصات المعابد الهندية ؟ !
ولقد ألت على الحاحاً شديداً فى أن أذهب مرة
لمشاهدتها على المسرح .. وأحضرت لى تذاكر
مجانية . فلم أجد من نفسى يومئذ حافزاً على الذهاب .
وليتنى ذهبت ... وكاد ينتهى الشتاء فجاءتنى ذات
يوم تقول ان المسرح سيوفد الفرقة الراقصة لتقوم
برحلة فى « نيم » و « اورانج » و « افنيون » فى
جنوب فرنسا . وقد تستغرق الرحلة شهراً أو شهرين .
وجعلت تتجهز للرحيل وهى ترجونى وتزنى لى أن
أذهب معهم فى هذه الرحلة . فضحككت للفكرة :
« اذهب فى رحلة الراقصات بأى صفة وعلى أى
وضع ؟ أبصفتى صديق الراقصة .. هذا جميل جداً ...
ومن يدرى ربما عدت من الرحلة وقد عينت
نهائياً راقصاً بالفرقة أو شيئاً من هذا القليل ؟

كلا يا عزيزتى ساشا ... إني لا أستطيع أن أترك
باريس واللوفر والكتب والحي اللاتينى ومونمارتر
وبليور .. اذهبي أنت وسيرى بتفردك فى طريق
حياتك وإني أتمنى لك التوفيق والنجاح .
وودع أحدهما الآخر وداعا حارا . وشعرت فى تلك
اللحظة بشئ من السعادة لعودة حريتي الكاملة إلى ...
ووجدتى المطلقة ...

يا الحقة إلا العذب أنت صبا لي

كثير كثير

ولا صرف شين
منها فخص بالحريم

مغفل يا حكيم

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

لو خطر لك أن تسألنى عن عملي طول هذا الزمن
(من حيث الأدب والفن) لأجبتك على الفور هذا
الجواب : هو العمل المتواصل على نحو كل ما علق
بى من الأدب والفن . وقد نجحت . فلم يبق واحد
من القلائل الذين كانوا يعرفون ميولى الأديبة يذكر
هذه الميول . لقد نسوا الآن ذلك ، وأصبحوا يعرفون
عنى كل شيء الا الصلة بالأدب والفن . على أن
هنالك شيئاً واحداً لم أقو على محوه . انى يا اندريه
ما زلت أردد كل يوم فى أعماق نفسى كلما خلوت إليها

السانفونيات رقم « ٥ » و « ٦ » و « ٤ » و « ٩ »
بكل تفاصيلها . إني أصبحت آلف يتهوفن إلى
درجة يخيل إلى معها أنني فهمت سر كتابته وتأليفه
مع جهلى المطبق بالموسيقى . إن اذنى لا تستطيع
الآن أن تخدع فى أسلوب يتهوفن بين مئات
الأساليب لمئات الموسيقيين . ان قدرة يتهوفن فى
البناء الصوتى تكاد تفتح أمام ذهنى اسرار كل بناء
فى آخر . بل اسرار البناء فى الطبيعة نفسها . . .

الاسكندرية في . . .

عزبى اندريه

قلت لك انى استطعت الاستغناء عن كل شىء
إلا الموسيقى . هذا صحيح . وإنى بعد أن ختمت
رسالتى السابقة إليك طففت أفكر وأتساءل : لماذا
الموسيقى دون التصوير مثلا ؟ إنى أحب التصوير
كما تعلم . الواقع ان الآثار الموسيقية القيمة فى
متناول يدى بمختلف الوسائل . أقربها وأيسرها
الجراموفون . ولكن كيف وأين أتأمل هنا فى مصر
لوحات « جيوتو » و « انجليسكو » و « مملنج » و
« رمبرانت » ؟ ان لى بالطبع أغاب آثار عظماء

المصورين منقولة ومطبوعة طبعاً متقناً . وإني
 لا تأملها من حين إلى حين . ولكن ليس الحال في
 الصور كالحال في الموسيقى . ان الموسيقى المنقولة في
 اسطوانات تعطيك على قدر الامكان فكرة شاملة
 عن الأثر الفني كله . ولكن الصورة المنقولة تحرمك
 أهم ركن من أركان العمل الفني : وهو التلوين . ماذا
 يبقى لي مثلاً من لوحة « باخوس » لدا فنشي إذا
 جردتها من لونها العجيب . انها صورة فتي لا أكثر
 ولا أقل . فتي يمثل إله الخمر . ولكن اللون والتلوين
 كأنه السحر قلب الصورة فاذا هي عنقود من
 العنب . من عنب فلورنسا الأحمر الداكن . ما نظرت
 مرة إلى هذه الصورة الا صحت في نفسي : يا معجزة
 الفنان الذي استطاع بريشته أن يجعل الآمى عنقوداً !
 ولكنه التلوين . ان الرسم ليهبط أحياناً إلى المحل
 الثاني في بعض آثار المصورين . فكيف تريد مني

أن أعيش مع صور فنية بغير ألوان ؟ .. وبغير ألوانها
الأصلية التي كد الفنان في تأليفها . لقد قيل ان
« ليوناردو » كان يصنع أو يطبخ ألوانه بنفسه في
معمله المغلق . لقد كان أكثر مصوري عصر النهضة
يفعلون ذلك فيما يظهر . وكان تركيب ألوانهم سرّاً
يحفظونه كأنه تركيب أكسير الحياة ؟ وفيه العجب ؟
ان اسرار اللون في الصورة الفنية هو سر خلودها .
انه أ كسير حياتها ...

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

أترانى أغالط نفسى ؟ أخشى أن يسكون حبي
للموسيقى الأوروپية مصدره أنها قبل كل شىء بناء
ذهنى . ذلك ان موسيقانا الشرقية وهى قائمة على الطرب
والتأثير المادى لا تسترعى منى اليوم أى التفات .
الواقع ان الموسيقى الأوروپية بناء فنى ذهنى . شأنها
فى ذلك شأن القصة التمثيلية ... والهندسة المعمارية .
بل شأن المذهب الفلاسفى والتفكير الرياضى . انى
ما زلت أذكر قولك لى يومان « عقليتى رياضية » .

ربما كان هذا صحيحا ! .. لقد كذبت عليك وعلى
نفسى إذ أخبرتك انى أحل الألوان المحل الأول فى
آثار المصورين . الواقع ان الذى يشير اهتمامى فى
الصورة قبل كل شىء هو ما يسمونه *la composition*
بنيانها وتركيبها ... وما يسمونه *le rythme* رويها
وتنظيمها . مثلاً لوحة كلوحة « المسيح يحمل صليبه »
لرفايل أذكر منها كل تفاصيل تركيبها المحكم
بمواضع أشخاصها وحركات أجسامهم وإيماءات
رؤوسهم وإشارات أيديهم وطيات ثيابهم ... كل هذه
الأشياء أبصرها وقد اتسقت خطوطها واتزنت
وكونت فى عالم الضوء والرؤية تركيباً جميلاً منغمماً
كأنه قصيد لا ينفو فيه لفظ عن الروى .. أما الألوان
فلا أذكرها كثيراً لأن عيني لم تمتلئ بها . امتلاء
العين بالألوان فى الطبيعة والحياة والفن شرط لازم

فى التصوير . ان العقل فى فن التصوير ليس فى الرأس
بقدر ماهو فى العين... العين النهمة التى تبصر وكأنها
تعترف وتلتهم ... تلك عين المصور المبدع . التصوير
فن حسى أكثر مما هو فن ذهنى . الآن أدركت
السر الذى طالما حيرنى أمام لوحات « روبانس » .
لطالما تساءلت : ما هذه النساء الممثلات الجمال وشجاعت
ذوات الأرداف المترججة والحدود المتوردة . ممن
نبضت بهن ريشة ذلك الفنان . ولطالما تساءلت عن
الغرض الذى دفع مثلاً « بول سيزان » إلى تصوير
طبق من التفاح ... ولطالما عجبت لمغامرات « بنفنوتو
تشيللىنى » المسطورة فى مذكراته المشهورة وما فيها
من نهم حسى وحشى لمتع الحياة ... الحقيقة ان الفنان
المصور يجب أن تكون حواسه المادية وعلى الأخص
حاسة البصر متيقظة لألوان الطبيعة إلى حد التهم
الوحشى . الفنان النابض بالحياة اما أن يكون متيقظ

الحاسة إلى حد الوحشية أو متيقظ الروح إلى حد
الصوفية . في المصورين كذلك طائفة من المتصوفة .
لعل خير مثل لهم هم السابقون لعصر النهضة قبيل
القرن الرابع عشر les primitifs . . . على أن اليقظة
الروحية أو الحسية في الفن ليست في رأي وقفاء على
عصر من العصور . فهي ترجع أحيانا إلى طبيعة
الفنان وحده وحالات نفسه المتغيرة أحيانا . فريشة
« روبانس » التي صورت « امفريت » زوجة إله
البحر « نبتون » كأنها امرأة تزن ثمانين كيلو جراما ..
بضرة .. غضة .. كتمثال من الزبد ... لا ينبعث
منها أى معنى غير معنى المادة الحية والشهوة الحسية ...
هذه الريشة نفسها هي التي صورت « انزال المسيح
عن الصليب » على نحو رائع ... كله جمال روحى
يبعث في نفس المشاهد خشوعا ورحمة وشعورا دينيا

عميقا . ان الفنان هو الكائن العجيب الذى يجب
أن يلخص الطبيعة كلها بمادتها وروحها فى ذاته
الضئيلة المحدودة . هو ذلك الكائن الذى يعيش فى
داخله الحيوان والاله جنبا إلى جنب ... ؟

الاسكندرية في . . .

عزيرى اندريه

لماذا لا تصرح بالحقيقة وتقول لى فى غير مداراة :
رح انت لا تحب الأدب !؟ يمنعك من ذلك شىء
واحد : انك منذ عرفتنى لم ترنى اعنى فى حياتى بشىء
آخر غير المطالعة والتأمل . ومع ذلك فهما انذا اليوم
لا أحب أن أطالع ولا أن أتأمل . . .

آه يا اندريه . لماذا لم أتعلم فى صغرى الموسيقى .
إنى خلقت لأعيش كل حياتى فى عالم الأصوات
وحده . اندريه ... يقوم فى نفسى الآن شك كبير
يوخزنى . شك فى علاقتى بالأدب والفكر . أعترف

لك يا اندريه كأنه اعتراف أمام قسيس ، انى لا أقرأ
اليوم خلا رسائلك شيئاً . فقدت لذة القراءة . لعل
أبالغ فى الجملة . لكنها الحقيقة فى قسط كبير . كاشفى
بحقيقة أمرى ولا تحاول مجاملتى أو مداراتى وقد
كشفت لك عن شكوكى . إنى أصغى إلى الموسيقى
لا للفائدة ولا للاطلاع ولا حتى للحاجة الفكرية أو
السمو الروحى . إنما للحياة نفسها . إنى أعيش بين
أنعامها كما تعيش النحلة بين ألوان الأزهار . إن
الجمال الذى ينبعث من تناسقها الفنى تدركه فى نفسى
أداة أدق من الفكر الواعى . لماذا لا أقرأ كذلك .
ان القراءة عندى جهد ومشقة ووعى وبقظة . ولاشئ
غير ذلك . إنى أوجه إليك هذا السؤال ولن أنفك
أسألك الجواب : هل حقيقة بينك وبين ضميرك
تعتقد أنى سأنتج شيئاً فى شئون الفكر
والأدب ؟ ... ؟

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

ماذا تريد منى ؟ نعم إنى أطلب إليك وأريد
منك لأنك تستطيع أن تعطينى . يدهشنى فى كل
رسائلك شىء واحد : انك تريد أن أكتب إليك .
ولعله كرم خلق منك . أما أنا فلست أكتب عنك .
لو أنى فى مكانك وأنت فى مكانى لما ترددت فى قطع
الصلة بهذا الرفيق الناضب المفلس . ما الذى تستبقينى
من أجله ؟ هذا دائماً ما لست أعرفه . تذكرنى هذه
المناسبة بفكرة خطرت لى منذ زمن هى أن أكرس
لك خطاباً طويلاً أحدثك فيه عن الصداقة . فلقد

هالتي أن أصحو في فترة من هذا السبات الذهني فلا
أجد حولي هاهنا صديقا ولا رفيقا . ولعل الذنب
ذنبى . فقد لحظت من حالتي العصبية ومن ضيق
صدرى تعذر جلوسى الى الرفاق . كما أنى لحظت
هدوء نفسى وانتظام تنفسى واتساع صدرى كلما عدت
الى حظيرة الوحدة المطلقة . فى أحضان الوحدة
وحدها أتففس الصعداء فى لذة وراحة . أهو مرض ؟
أهو توحش ؟ أهو حال عارض طارىء ؟ لست
أدرى حتى الآن . ان مجرد الاختلاط العادى
والاجتماع فى ذاته حتى مع من يروقنى مجلسه أمر يشق
على نفسى ويعد فى نظرى من الأهوال . تستطيع
أن تقول انى اليوم فى فترة من حياتى وقفت فيها حركة
القلب والعقل معنويا . انى أحس نفسى الآن تهبط
إلى مجرد الآلة . انى غير جدير بأى عمل يحتاج فيه
إلى العقل أو إلى القلب . الحب ! يخيل إلى أنه التفاحة

التي لم أذق حلوها قط ولا أود قط أن أعصى الله من
أجلها . وماذا تريد من شخص لا يعرف حتى الصداقة !
العقل والتفكير ! آه .. ذهب ذلك الفتى الذي كان
يقرأ الكتاب ساعة ويسبح في التأمل والاستنباط
ساعات . وماذا تريد من شخص لا يقوى على فتح
جريدة ! كل ما في الانسان من آلة وآلى هو أنا
الآن . أنا اليوم شيء أقل بكثير من إنسان . ومع
ذلك يا عزيزي أندريه تشاء بي سخرية الله أو الشيطان
أن أسمع وصفا عجيبا لي جرى به لسان رجل عجيب .
كان ذلك في إحدى الزيارات العائلية ساقوني إليها
مرغما . جلست لحظة ثم هممت بالانصراف . وإذا
رجل يدخل فيجلس . وإذا الحاضرون يقبلون عليه
طالبين إليه أن يقرأ أو كفهم . وقيل لي انه رجل من
ذوى اليسار ومن معارف أصحاب الدار . ولكنه
ولع بعلم الكف منذ صغره وأنفق عمره في الاحاطة

به والتعمق فيه حتى حذفه . فلم يخطئ . مرة في
تنجيـمه . وفرغ الرجل من النظر في أكف الحاضرين
ودعاني أحدهم أن أمد كفي إليه ففعلت . فنظر الرجل
فيها ساعة ثم رفع عينيه إلى وجهي . ولعله ما رأى
فيه غير ابتسامة التشكك في علم رجل غير ذي منظر
ولا هيئة يمان عن ذكاء . لقد كان رجلا بدينا أصـلـع
ضعيف البصر . ترسم على وجهه السذاجة إن لم أقل
الغباء . لقد مثل في رأبي صورة للعمدة الفلاح الجاهل
البسيط . ولكنه عندما تكلم قارئاً كفي فاه بالفاظ
أدهشتني . ألفاظ لا تجرى إلا على السنة أهل العلم والفطنة
والثقافة . وإليك نص ما قال : « انت روحاني طبيعتك
روحانية . (وهنا طلبت اليه تفسير هذه الكلمات فقدم
عجبت لنطق مثله بمثلها ثم نعتي بمدلولها وهو لا يعرف من
أمرى شيئاً . ولم أتكلم طول الوقت إلا بالتأفاه من كلمات

المجاملة . وكنت دائما أصغى الى الآخرين . ولعل
كنت أصغر الحاضرين شأنا وأقربهم إلى هيئة الحق
والبله (فأجاب : « لا تسألنى تفسيراً . لا تسألنى فى
غير ما أرى : أمامك الشمس ... الشمس لا ترى فى
كل كف ولا فى كل طالع ... الشمس أراها فى نجم
حضرتك ! » .. ولكن حضرتى ما كان يعنيه
بالضرورة غير مسألة « أكل عيشه » وكسب قوته .
فأسرعت قائلاً : « وماذا غير ذلك ؟ » فمضى
يقول : « ثم انك من حيث الثروة والسعادة قنوع .
سعادتك فى القناعة . والغنى عندك قناعة . يعنى لن
يكون غناك فى المال . » ثم قال : « وانت تحب العزلة .
انت مثل رجل منقطع ... » هنا شعرت برجفة .
تلك يا أندريه هى الحقيقة الوحيدة التى اعتقدت أن
الرجل قدفاه بها . ولا تستطيع أن تتصور مقدار
دهشتى عندما قال ذلك خصوصاً فى وقت كنت

أكثر فيه من تأمل حالي المزعجة . ونظر الرجل
أيضاً ثم قال شيئاً غمى وغم أهلى على الخصوص .
فقد قال أفاده الله : « فقط .. فقط ... لست
أرى طريقك في مناصب رسمية . » فلم أرد فهم
مراده . بادى الأمر . وخالجنى قلق وكدر
فأنا لم أزل مستبشراً بوظيفتى القضائية التى كادت
تم اجراءات تعيينى فيها ... فقلت له : « وما معنى
طالعى اذن اذا كنت لا ترى لى طريقا فى وظائف
ال... » فقاطعنى بعنف : « أنا أرى فقط ولا
أفسر » .. لقد أوردت لك يا أندريه . نص
ألفاظ الرجل على وجه التقريب . فما رأيك ؟
إذا أردت رأيى أنا فاعلم انى ضحككت فى نفسى
كثيرا لقوله إني « روحانى » ! من العجيب أن
يحمى، قوله هذا فى وقت أوقن فيه بأنى « مادية
كلها بل « آلى » الآلية كلها . لقد كدت أصيح فى

الرجل قائلا : أيها المنجم . انى أوثر أن أمتسخ قردا
على أن تصدق فى « روحانيتك » هذه . ما أضعنى
إلا هذه الروحانية . أما « الشمس » أيها المنجم فانى
أبيعها لمن يشتريها من الحاضرين بمبلغ مائة وعشرين
قرشا ثم تذاكر دخول كازينو سان ستفانو لحضور
« كونسيرات » الخواجه بونومى ! « القناعة » !
سأعيش بالقناعة طول حياتى ؟ يا للبؤس ! لماذا ؟
لأن القناعة تاج دائم ؟ ! لا يا سيدى المنجم .
انى مستعد أيضا لعرض هذا التاج للبيع بالمزاد .
سأبيعه بالبخس كما بيعت تيجان آل رومانوف .
والخليفة العثمانى . نحن نعيش الآن عصرا تحول فيه
التيجان الى ورق من البنكنوت ! إن هذا العالم
بالكف الذى لم يخطئ مرة . قد أخطأ هذه المرة ،
حتى يحق له ان يقول انه أخطأ مرة . فلاستثناء
يسبغ أحيانا على الأخبار رداء الصدق والحقيقة .

آه يا اندريه ! انى فى حاجة الى ان يدق القلب دقتين
أو ثلاث ، ثم يقف ... لدينا ساعة كبيرة فى ردهة
الطابق الأسفل . جئت من أوروبا فوجدتها . وقيل
لى إنها مشتراة فى مزاد عام ، منذ ثلاثة أعوام .
ساعة سليمة دقيقة تسير على خير ما تكون الدقة
والضبط ... ولم تعرف قط يوما الوقوف ولا التأخير
وإذا بها ذات يوم قد وقفت فجأة . فدهش لذلك
أهل البيت . وهاجوا وماجوا . وجعل كل يقترح
أمرا لأصلاحها . فحاولت أنا إصلاحها فلم تصالح .
وسمع والدى بأمرها فنزل من حجراته إليها يعالجها
باللين فلم تصالح . فطلب مطرقة وجعل يدق بعض
ما فى هيكلها من مسامير ويفك بعض ما فى جوفها
من تروس . فلم يظفر بطائل . فتركها آخر الأمر
وتركناها يائسين . وإذا بها ذات ليلة تدق فى جوف
الليل من تلقاء نفسها والكل نيام ، دقتين أو

ثلاث .. فى ذلك السكون التام .. ومنذ تلك اللحظة
سارت .. ولا يدرى غير الله ما أوقفها وما سيرها !
ترى بعد موت طويل يستطيع القاب ان يدق
دقتين أو ثلاث ، يعقبها البعث والحياة ؟! .. م

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

مات «بونومى» ! مات «إدجار بونومى» !
الأحد الماضى فقط . منذ ثلاثة أيام رأيته فى كازينو
سان استفانو يقود «أندانت» السانفونية الثانية
و «أليجرو» السانفونية الأولى «لجوستاف ماهر»
وال *Antiche danza* «لرسبيجي» . وكونسرتو البيانو
والأوركستر «لأدوار جريج» . . . فقط أمس
الأول سمعت صوته فى طرقات الكازينو يعـد
«بروفات» الأحد القادم !
وفقط أمس ظهرت على جدران رمل الاسكندرية

الاعلانات المعتادة لأسماء القطع التي ستعزف في
الحفلة المقبلة ، وعلى رأسها « La Rédemption »
لسيزار فرانك . إدارة الكازينو جاهلة ما يخبئه
عزرائيل للمايسترو المسكين ! فهي ما زالت كعادتها
جادة في اصدار الاعلانات وتوزيعها متوجة بالعبارة
المألوفة : « الكونسير سانفونيك : رقم ١٤ تحت
قيادة المايسترو ادجار بونومي » .

إلى رحمة الله يا بونومي !

حتى انت ! الوحيد الذي لنا في مصر !

إن موت هذا الرجل نكبة عندي . ومهما يكن
من أمره وأمر فنه ، فقد كان لي فيه العزاء والسلوى
في هذا البلد الفقير الى الفن . قل ان الله يريد حرماني
كل مصدر سعادة روحية . حتى انقلب في النهاية
بهما يرعى أرض مصر الخصيبة !

لا بأس . فلنرجع الى الجراموفون الآلى .

ولكن... رحمة الله عليك يا بنونومي بمقدار ما
أسعدتني في لحظات...

...

اندرية ، هذا ثالث خطاب اليك من سلسلة
خطابات مكتوبة ولا شك تحت تأثير حالة شبه
واحدة . وأخشى أن تفسر هذه الحالة بما اعتدت أن
تفسرها به ، قائلا : « أوه ، انى أفهم حالته جيداً
من خلال سطورره ! » . الواقع انك قدير على
استشفاف ما بين سطورى . غير انى لا أريد أن
تفهم أكثر من انى الآن فى حالة كآبة عارضة .
وهل لا تعطينى حتى حق الوقوع فى الكآبة من
حين إلى حين ؟ لكن ثق انها حالة نفسية داخلية
لا أثر لها فى تصرفاتى الخارجية ولا صدى لها فى
أعمالى الظاهرة ولا تظهر حتى لأعين غيرك من
الناس . ومع ذلك فانى قد محوتها أو سأمحوها من

الأمر إلى رأسه .. إلى شعره . إلى ذلك الشعر
النفوش « أرتستيك » ومن تحته ذلك الوجه الغريب
بعينه اللتين تشبهان أعين أهل الأساطير الدينية
المصورة في القسيفساء البيزنطية ، وشفتيه الغليظتين
الافريقييتين كأنهما شفتا ساحر زنجي ... عند ذاك
تذكر أيضا ما قالته فيه خادم الأسرة التي نزل عندها
بحي (فوجيرار) أول عهده بباريس . لقد دخلت
عليه الخادم في الصباح تحمل صينية الفطور .
فوقع بصرها عليه في السرير ، لا يبدو منه إلا رأس
يطل من اللحاف الناصع كأنه رأس يوحنا المعمدان
على صينية الفضة . ولكن حاشا لله ان يكون هذا
معمدانا ! صاحب مثل هذا الرأس لا يمكن ان يكون
من الآدميين ! ذلك ولا ريب ما جال بخاطر الخادم
وهي تنظر إلى شعري الذي هب قائما إلى ما فوق
مسند السرير في شكل دائرة . كأنه هالة من (الهباب)

الأسود على حافة الوسادة البيضاء . اما الوجه فوق
الوسادة ونحت الهالة فلم تره لحسن الحظ . ومضت
الأيام . وإذا صاحبة البيت تقول لى ذات يوم باسمه
وقد زالت بيننا الكلفة : « اتدرى ما حدث فى
صباحك الأول لدينا ؟ لقد جاءنى الخادم تقول
مرتاعة : « اتدرين ياسيدتى من حل بدارنا ؟ .
فسألتها : من ؟ فأجابت : C'est Le Diable إنه
الشیطان !... »

ولعلها صدقت . واستادرى ما ذكرنى الساعة
بهذه الحادثة التى كدت انساها . ولم يذكرنى بها حتى
خطابك الممتع الذى حدثتني فيه عن ذلك القسيس
الذى ظن « توفيق الحكيم بملا بسه السوداء »
الشیطان او المسيح الدجال . إذن ما جاء بخطابك لم
يكن محض خرافة ولا تأليف ! من يدري ، لعل

اخذت عن إبليس صورته وهيئته . لكن ... هل
تظن ان لي ايضا قلبه ؟ لا اظن . وبعد ...
فلتسكت الطبول ، ولينسل (الباياتشو) وجهه ،
فقد انتهى الفصل المضحك ! .. ؟

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

هل حقا انت تفهمنى ؟ وهل تقدر ما انا فيه ؟
انها دائما حالة القلق والبحث والتنقيب عن الأسلوب .
لكن انتظر . ماذا اريد ان اقول ؟ هل لى الحق ان
اتكلم فى الأدب ؟ مع ذلك اتقطع شكا
وقلقا وبحشا يا صديقى اندريه ، لا عن اسلوب الأدب
وحده . بل عن اسلوب حياتى ... ؟

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

ولنعد إلى ما جاء فى رسالتك الأخيرتين عن
غرقك فى بحر الكتب والمطالعات وخروجك مصابا
بجوى الشك والقلق . ينبغي ان ابادر فأقول لك ان
هذا القلق مرض دورى لكل رجل فـكر . ابن
كنت انت ايام اصابنى بهذا المرض الاصابة الأولى؟
لقد حدث لى بالضبط كل ماوصفت . فى ذلك الوقت
كنت انت فى مصنعك بعيدا عن المنطقة الجديدة
العميقة من نفسى . وكنت انا فى حجرتى قريبا من
مسكن المأسوف عليه ايفان . لقد كان العامان

الأخيران من عهد باريس رازحين تحت اثقال هذا
المرض الموهن . لقد فتحت امامى المطالعات دنيאות
لا قبل لى بها وعوالم لا حدود لها . وقد حدث ذلك
فجأة او على الأقل فى سرعة لم يتحملها ذهنى . فصار
مثلى مثل ذبابة اطلقت فى اجواز الفضاء الهائل وهى
التي ما هامت إلا فى جو الحجرة الضيقة وما عرفت
النور الا من خلال النافذة الزجاجية المغلقة . على ان
هنالك فرقا بينى وبينك لا يجوز ان تنساه . فرق
جعل مرضى اثقل وطأة واشد فتكا . ذلك انى
كنت اعتبر شؤون الأدب والفكر حرفة وغاية .
وكنت ادع المتصلين بى يفهمون عنى ذلك . وكنت
اعلن لا فقط حبى لشؤون الفكر والأدب والفن
بل اشتغالى الكلى بها . اما انت فقد كنت تعمل
عملا حقيقيا ترتق منه وتأخذ على سبيل الجد
وما كانت المطالعات عندك الا هواية . وما كان

الاغراق في التأمل والتفكير والخيال الا موضوع
سخريتك ، على الأقل في أول عهدك . إلى أن
رضيت آخر الأمر أن تتفضل على هذه الأمور
بنظرة تسامح . ذلك حالك وهو كما ترى ليس خطيرا
إلى حد كبير . أما أنا فقد تفاقم خطبي . لقد أضعت
وقتي كله في باريس منحنيا على مكتب الحجرة رقم
٤٨ بشارع بلبور . اقرأ وأقرأ حتى قرأت كل شيء .
لم أترك شيئا في تاريخ النشاط الذهني لم أطلع
عليه . لقد غرقت في آداب الأمم كلها وفلسفاتها
وفنونها . لم أكن أسمح لنفسي بأن أجهل فرعاً من
فروع المعرفة لأنني كنت أعتقد أن الأديب في
عصرنا الحاضر يجب أن يكون « موسوعيا » .
لذلك بذلت جهدي في أن أحيط بأبرز ما أنتجت
العبقرية الانسانية . حتى العلوم ، أردت أن ألم الماما
بأهم نتائجها . ففي الهندسة حاولت فهم هندسة نيومان

المعارضة لهندسة افلايوس التقليدية . والرياضة
أردت فهم مراميها العليا في مؤلفات الرياضي هنري
بوانكاريه . والطبيعة والفلك بدأتها باسحق نيوتن حتى
بلغت نظرية اينشتين التي قرأت فيها وحدها نحو
خمسة كتب . وفي علم الحياة قرأت بعض
كتب داروين ولا مارك ... وفي علوم النفس بدأت
بكتب جورج توماس وارمان ريبو وانتهيت إلى
أكثر ما كتب عن نظريات فرويد . ولفتت نظري
العلوم التيوزوفية فقرأت كتب « آن يزان وادوار
شوريه ورودولف شتينر » وخرجت منها إلى العلوم
الروحية فقرأت ابحاث اوليفر لودج ووليام باريت
وفلاماريون . حتى علوم الكهرباء حاولت فهم
ما أستطيع فهمه من نظريات فاراداي وتومسون
وويران ... الخ ... أما قراءتي في القصص التمثيلي فهي
أعجب شيء فعلته . لقد قرأت كما أخبرتك ذات

مرة « المكتبة المسرحية » La Librairie Théâtrale
برمتها . فأنا كنت أراسلها من مصر قبل زوحي
إلى فرنسا . واعرِفَ عنوانها في الجران بولفار .
وكانت هي أول حانوت دخلته إذ دخلت باريس .
فجعلت أختلف إليها أياماً طويلة أطالع صفوف كتبها
صفا صفا .. وانطلق آخر النهار بما استطيع شراءه
مدارة لصاحب الحانوت . واعتاد السكتي رؤيتي
كل يوم على هذه الحال ... إلى أن نظر ذات يوم
حوله فلم يجدني . فسأل في ذلك أحد عماله مستغرباً ..
ثم حانت منه التفاتة إلى أعلى المحل فأبصرني في قمة
السلم لاصقاً بالسقف التهم الكتب التي في الصف
العلوى الأخير ... أجل يا اندريه فعلت هذا وبعد ذلك
كله انكسبت أكتب وأكتب مخطوطات ...
كان مصيرها كلها التمزيق ، أن ما جعلتك تقرأه
منها يا اندريه لا يوازي جزءاً من عشرة أجزاء مما

أخفيته عنك وانتهيت إلى تمزيقه قبل ان تطلع عليه
عين . ولعل ما قرأته انت هو انكب وأقبح
ما سودت به وجه ورق . انها سهول من الصحارى
والرمال تصور لنا سرايا بعيدا لن نبغها أبدا . سهول
من الأساليب المختلفة كلها « السهل الممتنع » .
بحسب القارىء انه محيط بأسرارها واضع اليد على
مفاتيحها مستطيع أن يبلغ مبلغها لو أمعن في السير
والبحث والكتابة . فيسير ويسير متوها في كل
خطوة انه يبصر « اسلوبه الخاص » المنشود يلعب
فوق تلك السهول . لكنه ما يبصر غير سراب .
ولشد ما توهمنا ان الاسلوب الخاص معناه التجديد
وان التجديد معناه الاغراب . وبهذا الوهم كتبت
حماقات كنت أحسبها شعرا . ونزعت إلى الاغراب
خشية التقليد فاذا بي أقع دون ان اشعر في محاكاة
« الدادايزم » و « السورر بالزم » و « الكوبزم »

الأدبي . وإذا ما كنت أظنه استيحاء مبتكرا في
وضع الشعر على طريقة « بيكاسو » و « ماتيس » في
التصوير الحديث ، ليس إلا صدى باهتا لطريقة
« جان كوكتو » و « زعات » « مارسيل شوب »
و « اتجاهات » « ماكس جاكوب » . وضعت في هذا
الأسلوب قطعاً كثيرة أهمها : (النفس) و (القبلة)
و (أبو الهول) الخ .. مزقتها طبعاً قبل أن أفكر
في اطلاعك عليها وغير ذلك كم من الفصول
التشيلية كتبت ومزقت ! لقد كنت أظن أكتب
أحياناً تسع أو عشر ساعات في اليوم بلا انقطاع دون
أن أذكر الجوع أو أفطن إلى أوقات الطعام . ولقد
انفقت شهوراً في وضع قصة تشيلية قرأتها لصديق
مسيو هاب وقد كان قبل الحرب ممثلاً مهما كما تعلم
في أشهر مسارح باريس . . . قرأتها معاً في يوم
أنا كمله بحديقة اللوكسمبورج ، وكان مصيرها

«اللقاء» في أول مرحاض عام بشارع مدسيس .
ذلك انى لم استطع صبرا على الانتظار حتى أعود إلى
مسكنى فألقيها في سلة المطبخ . ولسكنى لم أقنط
مع كل ذلك . لقد استمرت الحى بعدئذ سنتين
كاملتين . قاسيت فيهما كثيرا . لقد كان القلق
مستحوذا على إلى درجة مروعة . لآنى كنت أظن
في الأدب مستقبلى . لقد كنت أضن على نفسى
المتعبة بشىء من الراحة والاستجمام . لكم دعائى
زملائى المفلحون من دكائرة الحقوق إلى السفر معهم
في الصيف إلى شاطىء «أوستند» أو إلى جبال
(الفوج) أو الى قرية على بحـيرات سويسرا
استكشفوها . وكانوا يذهبون لنزهة الصيف
زرافات . يضحكون ويلهون وكلهم فرح بالحياة مدرك
لقيمة الشباب . اما انا فى باريس دائما . قد انحنى
ظهرى على مكتبى بشارع بلبور ، أبحث وأبحث عن

ذلك السراب الذى يدعى «الأسلوب» . حتى الحب .
حتى (فينوس) ضحيتهما من أجل (أبولون) . لقد
كنت أصالح (ايمما) يوماً لأخاصمها شهراً . ولقد
كانت تشاء الظروف ان أقابلها فى المصعد وجهالوجه
وتسنع فرصة الصفاء واللقاء . ولكنى أقول فى
نفسى : علام الصالح وانالم أزل مع الفن فى خصام !
وأعود إلى أوراقى انكب عليها انكباً با غير حافل
بغضب (إلهة الحب) معفراً جبينى عند أقدام (إله
الشعر والفن) . وإذا بهذا الاله القاسى يهزأ فى النهاية
بتعبى وكدى ويدسم لى قائلاً بلسان مسيو هاب :
(نعم . نعم .. لديك موهبة الحوار .. لكن ...)
فيلقى بهذه الكلمة الصغيرة جرثومة الشك فى أعماق
نفسى . فانهال على عملى تمزيقاً لا بدأ عملاً آخر فى
كد ونشاط قاتلين . ويأتى الشتاء دون ان اشعر
ويسافر اصدقائى الى التمتع بالشمس فى (نيس) و

(جراس) . وأنا أنا على عهدى أرفض الذهاب معهم
لألقى بنفسى من جديد فى أتون تلك الحى المستعرة .
ولا اكاد افيق الا على صوت غناء (ايما) يصعد الى
من نافذتها بالطابق السفلى . ولكن ... أين لى راحة
الضمير ، أين لى ذلك الاطمئنان الى آخرة طريقى
الوعر المغلف بالضباب ، أين لى ثقتى بنفسى وعملى .
أين لى الأمل ببعض النجاح . أين لى القليل من
الرجاء يلطف من ذلك القلق الذى يحرمنى التمتع بالحياة
والشباب وباريس . ما كان شىء يؤلمنى ويطعن قلبى
مثل سماع تلك الأغنية الباريسية الشعبية التى مطلعها :

Si vous voulez l'amour n'attendez pas huit jours

(إذا كنت تريد الغرام فلا تنتظر ثمانية أيام !)
وأنا لا أنتظر ثمانية أيام فقط . انما أنتظر الأبد .
أنتظر السراب الذى لن يأتى . أنتظر الوصول الى
مفتاح حياتى وسر غدى . بل انتظر على الأقل

علامة واحدة تدلنى على أن ما أنفق من وقت وجهد
وَألم فى البحث لم يضع عبثا ...

لقد كان مسيو هاب يعيب على شيئا واحدا :
كتابتى بالفرنسية مباشرة . ولكن ذلك لم يفت فى
عضدى ووضعنى هذا القول وأمثاله فى حجيم المعركة
من جديد ... فاندفعت أعمل سنة كاملة أخرى
كتبت فى نهايتها صفحات تقرب من الخمسمائة لم
أطلعك عليها . ولكن بعض الأصدقاء حملوها إلى
ناقد فرنسى معروف ، لم يرنى ولم يعرفنى : يستطيع
ان يصدقنى الرأى . فأبدى رأيه فى خطاب طويل ،
فيه تحليل دقيق ، ختمه بالعبارة المعهودة :
أفكار كثيرة وموهبة فى الحوار .. لكن ...

beaucoup d'idées, le don du dialogue, mais ...

آه لهذه (mais) ! .. آه لهذه (لكن) ! قتلتنى
هذه (mais) ! لطالما مزقت وقتى وجهدى ...

وقلبي ! ... وشعرت انى سجين هذه *mais* أفضع
مما سجن بها ملك روما فى قصة «ادمون رويستان» ..
ومزقت تلك الصفحات أيضا . ان اعتراضات الجميع
لا تتغير : (لماذا تحاول أن تتكلف الأسلوب تكلفاً ؟)
انه لا يفوح من اسلوبك الفرنسى أى عطر شخصى
أخاذا ... انما هى عبارات محفوظة فى كتب البلاغة
تحسب انها اسلوب رائع !) ... حقاً ... ان احتفالى
بأمر الأسلوب قد أوقعنى فى التقليد ... آه لكلمة
اسلوب ، ولكلمة *formule* .. ! لقد بدأت أبصر
وقتئذ ... لقد تبين لى بعد طول الجرى والجهد ان
الأسلوب أحياناً حجة الكاتب الذى لا يجد مايقول .
ان الذى عنده مايقول للناس يخرج بكل بساطة
مالديه من كنوز ... لا يحفل بأسلوب التقديم
ويتكلف الوضع المسرحى فى الاعطاء الا ذلك الذى
يعطى شيئاً تافهاً . ما الأسلوب إلا تلك الآلة

الصناعية التي نتوصل بها للوصول إلى الحقيقة .
ولكن ما أروع الحقيقة لو تفجرت وحدها من أعماق
القلب الصادق في كلمات بسيطة . لهذا كان الأسلوب
أحيانا كل أدب أولئك الذين لا يحملون في جعبتهم
ما ينفع الناس ... ولقد لحظت انت يا اندريه بحق
ان كتابا مثل كتاب (السحر الاسود) لبول موران
هو مجرد اسلوب . وان كتابا مثل كتاب « قافلة
بغير ابل » لرولان دورجليس ليس سوى اسلوب .
هذا العصر الآلى يلجأ أحيانا إلى آلة الأسلوب كلما
اعوزته روح الحقائق الانسانية التي أبرزها الأدب
القديم . الأسلوب هو المظهر الخادع الذي يخفى به
كتاب اليوم جهلهم المطبق بروح الشعوب التي
يزعمون النفوذ إلى صميمها في مدى رحلة شهرين
بالقطار والباخرة ! انهم يستعمضون بفن (الديكور)
الكلامى والريپورتاج السريع واللون المحلى السطحي

عن الحقائق التي لا يحسها إلا أهلها . ان ما يطلبه الغرب وما يطلبه الشرق أشياء غير ذلك . اقرأ مقالات لويس برتران عن اسبانيا . . انه قد أدرك كل هذا . فهو يتهم كتاب فرنسا المعاصرين بأنهم لاهتمامهم باللون السطحي وحده قضوا على اسبانيا أن تظل مجهولة إلى الأبد لعين فرنسا . وأنا أزيد عليه ان كتاب اسبانيا أيضا من أمثال بلاسكو ايبانيز ساهموا في هذا التضليل . لقد قيل ان هذا الكتاب الاسباني المشهور كان ذا وجهين : وجه يتجه إلى وطنه ينشئ له أعمالا هي وحدها ذات القيمة الحقيقية . ووجه يتجه إلى أوروبا فينشئ لها أعمالا دولية . واوروبالأسفل لا تعرف إلا هذا الجانب المصنوع لها صنعا . إذا كان هذا قد قيل عن اسبانيا فماذا يقال عن مصر والشرق ؟ إن مهمة كاتب مصري او شرقي لأشق وأعسروا أكبر من ذلك كله ! ولكن لا بد من جهادنا

حتى في بلادنا أيضا . فان الأسلوب السليم لم يزل في
عرفنا مرادف اللغة المتصنعة المنمقة . وقليل من فطن
إلى أن الأسلوب هو روح وشخصية . لقد كان
مسيو « هاب » يدعوني إلى ترك الكتابة بالفرنسية
لا لأني لا أحسنها . على النقيض . لأنه رآني أتكلفها
وأنمقها وأستخدم تراكيب موضوعية وبلاغة محفوفة
مما حبس روحي وسجن شخصيتي في اغلال من
الكذب والتصنع . لقد أصاب الحقيقة . لا يخلق
الأسلوب الحق إلا الكاتب الصادق في شعوره
وتفكيره إلى حد ينسيه أنه ينشئ أسلوبا . البلاغة
الحقيقية هي الفكرة النبيلة في الثوب البسيط . هي
التواضع في الزى والتسامي في الفكر . كذلك كان
أسلوب الأنبياء في حياتهم : انظر إلى محمد وعيسى
على الخصوص : بساطة في الملبس وتواضع في المظهر

وسمو في الشعور والتفكير ...

انى يا اندريه مهتم كل الاهتمام بالتفاتك الحاضر
إلى الأدب . وان بحثك وشكك وقلقك لما
يدنيك إلى نفسى . فرحبا بك . امض فيما انت فيه .
ولا تخش هذا « المرض الضرورى » . بل يجب أن
لا تشفى منه سريعا . حبذا لو اتصلت بك وبما تقرأ
أكثر من ذلك . ولو أنى أتبع اليوم « نظاما
صحيا » régime sec أى عدم المطالعة فى الأدب
اطلاقا . قراءتى الآن قليلة . وفى أشياء أخرى غير
الأدب ، مثل تقارير عصبة الأمم ، وسياسة أوروبا
الاقتصادية بعد الحرب ... الخ

حاشية - أصبح الأمل ضئيلا فى أمر تعيينى
النهائى بالقضاء المختلط . فانى بعد أن ألحقت بنيابة

الاسكندرية تحت التمرين توطئة للتعين : ولبت
أعمل تلك الشهور الطوال ، عينوا في كل وظيفة
تخلو أشخاصا غيرى وتركوني في القاع كـثالة
الكأس ... م

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

أحقيقة ان امرأة تستطيع أن تميل إلى ... ؟
آه أيها الماكر ... لقد كشفت حيلتك . تريد أن
توهمني ان « الجميلة » ساقية المطعم الالزاسى تحمل لى
أجل الذكرى ! كلا . انك تعاملنى دائماً كما يعامل
طبيب مريضاً . وهذه الفكرة وحدها كفيلة ان
تجعلنى لا أصدق ما تقول . تذكر لى انك دعوتها
إلى العشاء . وتخشى غضبى . لا ياسيدى . إني لم
أغضب على النقيض . لقد سرتنى ذلك . انها
كانت عندى شيئاً جميلاً حقاً . شىء جميل لم أجروء

على مسه بأناملى . حتى لا ينهار أُملى فيه . ليت الأمر
 اقتصر على الحب يا اندريه . كل شىء ينهار بلمسة من
 يدى ... كأنما أبنى الآمال من الرمال . لقد مضى
 أكثر من عام وأنا فى الاسكندرية . لقد تغيرت
 كثيرا . وتنازلت عن أغلب أفكارى وآمالى . لقد
 أرغمتنى الحياة على المصانعة فى أمور كثيرة . لقد
 نبذت فكرة القضاء المختلط واتجهت شطر القضاء
 الأهلى .. إنى الآن فى انتظار أى قضاء ؟ ! ان الحياة
 لتقهرنى قهراً على قبول مالا أريد ... إنى منذ التحاقى
 بالنيابة المختلطة تلك الشهور ، وانا أختلط بطوائف
 من الموظفين وبألوان من الناس ما كنت أحسب انى
 أستطيع الحياة بينهم يوما . وحتى مطالعائى الآن
 أكثرها - عدا ما يتعلق منها بعملى الرسمى - ينجح
 إلى الدراسات الجافة والمسائل الاقتصادية . ومع ذلك
 فانى أشعر دائماً أن فى نفسى منطقة رفيعة منيعة

لا يصل إليها أحد . فاني ما أكاد أختم أعمال النهار ...
حتى آوى إلى حجرتي أصغى إلى اسطوانة « عصفور
النار » لسترافنسكى . لقد أخطأت يا اندريه كما
أخطأت أنا من قبل إذ نظن حياة العمل والواقع
قديرة على انتزاع حب الجمال من أنفسنا : واأسفاه !
ان كل ما كسبته نفسى من اتصالها بالفن الحق كان
حقيقيا خالصا لا زيف فيه .

الصدى
خمس
إني أعيش في الظاهر كما يعيش الناس في هذه
البلاد . اما في الباطن فما زالت لى آلهتى وعقائدى
ومثلى العليا . كل آلامى مرجعها هذا التناقض بين
حياتى الظاهرة وحياتى الباطنة .

إنى أصر على مراسلتك هذا الاصرار لأنك
الوحيد الذى يعمر هذه الحياة الثانية . انها صحراء
اصيح فى ارجائها وأنت وحدك الذى يسمع رجع
الصدى . آه انك لن تقدر آلام من يعيش فى غير

عصره . فأنت أوروبى يعيش فى أوروبا . إنك لم ترزأ
بعد بالحياة بين ناس لا يتصل إحساسهم الفنى بإحساسك
لقد كان مجرد حضورى فى قاعة كونسير « بلييل »
او « كولون » يجعل بينى وبين كل فرد حاضر فرنسى
او روسى او ألمانى صلة تكاد تكون صلة المواطن
بالمواطن . لقد كانت أيدينا تنطابق بالتصفيق لدى
دخول موسيقى مثل « فورتفانجلر » فى شبه حركة
واحدة . كأن مرا كز الاحساس فىنا جميعا متصلة
بسلك واحد . لقد كنا فى وطن ثقافى واحد . لقد
كانت تظلمنا انا والفرنسى والروسى والألمانى والمجرى
والانجليزى سماء واحدة هى سماء الحضارة فى هذا
القرن . من أجل ذلك كنت اطالع كل ما كتب
عن عصبية الأمم وكلى أمل . وما قيل عن « الدولية »
واتجاهاتها الانسانية وكلى رجاء . ثم إنى فوق ذلك
وبعد ذلك كنت أعيش . أعيش الحياتين . بل حياة

واحدة . إذ لم تكن بي حاجة إلى حياة ظاهرة وحياة باطنة . قد تسألني أليس في مصر طبقة من المستنيرين؟ نعم في مصر بيئة مستنيرة فيها كثيرون عاشوا في أوروبا وعرفوا الثقافة الأوروبية . وفيهم من يعرف الفن الأوروبي ويتكلم عن المصورين والتصوير ومن يتكلم حتى عن برامس وباخ وهاندل . ولكن النادر أن تجد بين هؤلاء من عرف أن الثقافة الحقيقية شيء والكلام فيها شيء آخر . وقليل من بين هؤلاء من أدرك أن الثقافة العقلية وحدها ليست كل الثقافة . وأن الثقافة الكاملة شيء أوسع من ذلك بكثير . أن أكثر هؤلاء المتكلمين في الموسيقى والتصوير والفنون يعرفونها برؤوسهم ولا يدركونها بحواسهم . أن المطلوب للثقافة ليس مجرد المعرفة بل الاحساس والتذوق والتغذي بمختلف الفنون . ما قيمة الكلام عن يتهوفن إذا كانت أعماله لا تهز نفسك

الثقافة

هزاً . وما معنى الحديث في رافاييل او مملنج او
روبانس او بوتيتشيللى إذا كانت صورهم لا تعمر
رؤوسنا ليل نهار وتحدث الوانهم واصباغهم في
نفوسنا الاحداث . الثقافة ليست كلاماً نملاً به
الرؤوس ولكنها بقضة الملائكات كلها والحواس . إذا
سامت بقولى هذا فلا أبالغ إذا قلت لك ان ليس فى
مصر عدد أصابع اليدين من المثقفين ... م

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

إني الآن غارق فى الأدب العربى . أريد ان
أدرس قضيته من أساسها . أريد ان أعيد النظر
فى أمر اللغة العربية - لغتى - واكشف أسرارها
وأضع أصبعى على مواطن ضعفها وقوتها . هذا الوقت
هو خير وقت أستطيع فيه ان أرى وأميز وأحسن
الحكم . فلى عينان قد طافتا - منذ أمد ليس بالبعيد -
بمختلف الآداب العالمية . ولقد نجحت فكرتى حقا .
انى أقرأ نصوص هذا الادب فى عصوره المتعاقبة
بعين جديدة . عين عامرة بالصور . حافلة بالمقارنات

وبنفس رحيمة عادلة صابرة . تلتبس العلل والاسباب
وتطيل التريث والبحث قبل ان تصدر الأحكام .
قبل كل شيء احب ان اقول لك ان اولئك الذين
علمونا اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية
كانوا يجهلون لا معنى اللغة العربية وحدها بل
معنى اللغة على الاطلاق . إنك لن تجد مستنيرا في
مصر لا يقول لك ان اللغة العربية — للأسف —
قاصرة عن التعبير في شتى ضروب العلوم والفلسفة
والتفكير العالى ! بل منهم من يقول انها ليست لغة
تفكير . انما هي لغة بهرج وتنميق . لماذا ؟ السبب
بسيط : هو ان النماذج التي وضعت في ايدينا ونحن
صغار للبلاغة في اللغة العربية كانت كتباً غثة المعنى
متكلفة المبنى . لو كتب بها شخص اليوم لأثار سخرية
الناس . نعم . . . انهم يعلموننا في المدرسة لغة إذا
استعملناها في الحياة ضحك منا الناس ! منذ استطيع

بعد انتهاء دراسته ان يكتب رسالة على نمط « عبد
الحميد الكاتب » او مقالا او بحثا او تقريرا على طريقة
« الحريري » دون ان يتعرض لسخرية الساخرين ؟ !
ليس من اليسير ان اطلعك او اترجم لك مثل هذا
الأسلوب « النموذجي » ! ولكني اقول لك انه
اسلوب يستخدم اللغة استخدام الجوارى للبود في
مجالس الانس والسكر بقصور هارون الرشيد .
اسلوب غايته قبل كل شيء ان يهر السمع النائم
ويطرب الأذن المسترخية . لست ادري أيجوز ان
تجعل لغة من اللغات وسيلة لهو واداء براعة
كفنون المغنين وألعاب الحواة ! ام ان اللغة اداة
يسيرة لنقل الأفكار النبيلة ؟ إني افهم ان يضرب
مثل هذا الأسلوب مثلا للضعف والسقم لا للسلامة
والبلاغة . فان التكلف ابرز عيوب الفن . كان « جويو »
يقول ان الرشاقة في فن الرقص هي اداء الحركة

الجمانية العسيرة دون تكلف يشعر كما بذل فيها من
مجهود . تلك أولى خصائص الأسلوب السليم في كل
فن . حتى الحاوي الماهر هو ذلك الذي يخفى عن
العين مهارته ويحدث الأعاجيب في جو من البساطة
والبراءة . لعل الكاتب الوحيد الذي ضربوه للطلاب
مثلاً فصدقوا هو « ابن المقفع » في ترجمته لكليية
ودمنة . هذا كاتب تصنع في أسلوبه هو الآخر
ولكن بخفة ومهارة ، وطلاه وجهه ولكن بدوق
وكياسة . فلم يبد عليه سماجة التكلف ولا ثقل الصناعة .
انه ذلك الحاوي البارغ ... او تلك الحسناء الذكية
التي تطل وجهها بالاصباغ ثم تمسح أثرها الصارخ ،
فتظهر وكأن نضارتها نضارة الأصل والفطرة . ان
« ابن المقفع » يجهد في أسلوبه ليخفي أثر الجهد . انه
تلك الراقصة الرائعة التي تخفي حركاتها العسيرة فلا
تبدو لنا منها إلا تموجات رشيقة يسيرة . هذا الكاتب

هو على كل حال مثل طيب للصناعة في الكتابة .
على انك إذا أردت أن تعرف حقاً جلال اللغة العربية
في بساطتها وسيرها قدما نحو الغرض : فاقراها عند
الفلاسفة والمؤرخين العرب . اولئك عندهم حقيقة
ما يقولون . فهم لا يضيعون أوقاتهم واولئنا في العبث
اللفظي والطلاء السطحي : إنما هم يحدثوننا في شئون
فكرية واجتماعية واخلاقية ودينية في لغة سهلة مستقيمة
لا لعب فيها ولا لهو ولا ادعاء . اني لأدهش كيف
ان مؤلفين مثل ابن خلدون والطبري وابن رشد
والغزالي لم يعرضوا علينا قط في دراساتهم للأدب
العربي بالمدارس ؟ ! كيف نعرف لغة بدون أن نطالع
فلاسفتها ومؤرخيها ؟ أنستطيع معرفة الفكر اللاتيني
دون ان نقرأ سنيكا ومارك اوريل و تيتوس ليفيوس
وكورنيليوس تاسيت ؟ ! لو انه عرضت علينا صفحة
واحدة مع شرحها لكل فيلسوف بارز ومؤرخ مشهور

من فلاسفة العرب ومؤرخيهم لتغير رأى أكثر
المستنيرين عندنا في اللغة العربية وقدرتها على التعبير
عن أدق الأفكار وأعلاها وأعمقها وأنبليها
بهذه اللغة نقل ابن رشد وابن سينا وعمق آراء فلاسفة
الغرب إلى أوروبا المتعطشة للمعرفة ؟ ! انتم معشر
الفرنسيين فعلم ذلك في تدريس الأدب الفرنسي . .
ما من كتاب مدرسي صغر أو كبر لا يذكر فيه
نماذج من أسلوب « مونتاني » الفلسفي و أسلوب
« روسو » الاجتماعي و « بوسويه » الديني و « فولتير »
التاريخي ... بل حتى أسلوب « موليير » الفكاهي أحيانا
إلى حد النهرج .. ذلك ان المدارس الفرنسية ادركت
ان تدريس اللغة يجب ان يشمل كل نواحي التعبير
بها ... اما قصر تعليمها على نماذج البلاغة اللفظية
الجوفاء فهو امتهان لكرامة اللغة وانتقاص من قدرتها
على الأداء . في العربية كاتب متعدد النواحي له

باع طويل في الجد والهزل هو « الجاحظ » . هذا
ايضاً لم نقرأ له سطرأ في المدارس... كل كاتب عربي
بسيط الأسلوب نافع لنا في الحياة يقصونه عنا قصاء
بحجة انه غير بليغ... ويأتون إلينا بالكاتب الذي لا ينفع
في حياتنا إلا نموذجاً لاثارة السخرية!... حتى الشعر وهو
مفخرة اللغة العربية. الشعر الذي كان يجب ان ترى
فيه نفوسنا المتفتحة أول لون من ألوان الفن... ماذا
انتخبوا لنا منه ؟ قصائد المواعظ والحكم !... هنالك
حقاً نوع من الموعظة والحكمة يعرف الشاعر الحق كيف
يلبسها ثوباً من الصور الحسية والذهنية ترفعها إلى مرتبة
الفن العالي ... (كما فعل أبو العلاء والمتنبي والناطقة
الذياني في بعض قصائدهم) ولكن الفرز والتمييز
والتخير في هذا الباب يحتاج إلى حاسة فنية لا يملكها
القائمون بهذا العمل . حتى الشعر الموسيقي والشعر
التصويري الذي عرضوا علينا بعض نماذجه (في أعمال

البحتري وابن الرومي على الأخص) لم يكن من خير
آثارهما ... ليس كل شعر فنا عاليا لأنه يعظأ ويصور
أو يرسم ... فالشعر الحق هو شيء أبعد كثيرا من
مجرد أصابة الأهداف الظاهرة أو تحقيق الأغراض
المباشرة . بل ربما انحط شعر في عرف الفن العالي
لأنه اقتصر على صياغة حكمة أو تصوير منظر أو
أحداث جرس .. انميا الشعر الحق قد يتوسل بهذه
الأشياء لبلوغ مأرب اسمي : هو الارتفاع بالناس
إلى سحب لا تبلغ ، والرحيل بهم إلى عوالم لا تنظر .
هو أن يربهم من خلال كلماته البسيطة ووسائله البادية
أشياء لم تكن بادية ولا طافية في محيط ضمائرهم
الواعية . هو بالاختصار ذلك السحر الذي يوسع ذاتية
الناس فيرون أبعد مما ترى عيونهم ويسمعون أكثر
مما تسمع آذانهم ويعون أعماق مما تعي عقولهم ... هذا هو
الشعر » وهذا هو المقصود من كلمة « الشعر » في

اطلاقها على كافة الفنون . ما من فن عظيم بغير شعر .
أى بغير تلك المادة السحرية التى تجعل الناس يدركون
بالأثر الفنى مالا يدركون بحواسهم وملكاتهم ...
لقد أثقلت عليك يا اندريه بهذا الحديث فى
موضوع لا يعنيك كثيرا . ولكن من غيرك ابته
كل خواطرى .. ؟ تحمل ... م

الاسكندرية في . . .

لا

عزبى اندريه

إمعانى فى بحوث الأُدب العربى اليوم يجعلنى
غير صالح للحديث فى شىء آخر . ولقد فرغت من
مسألة اللغة فاذا مشكلة أخرى تقوم أمامى . هى ان
الأدب العربى ذاته من حيث هو خلق فنى بدولى
ناقص التكوين . والسبب فى ذلك بسيط أيضا :
إذا تأملت الآداب القديمة كلها وجدت أنها قد
عاصرتها فنون كبرى . خذ مثلا مصر القديمة والهند
والاغريق والرومان الخ ... لقد كانت المعابد العظيمة
والتماثيل الرائعة خليفة أن يعاصرها أدب يضارعها

في قوة البناء ودقة التركيب وروعة الفن : (الملاحم
والتمثيل والقصص) . ولكن الذي حدث في تاريخ
الأدب العربي كان غير ذلك . لقد نشأت لغة نضرة
زاهرة في بيئة قحلاء وسط الصحراء . لقد كان
أقصى ما عاصر لغة امرؤ القيس أو لبيد أو زهير
من مظاهر الفنون الأخرى تلك المسوخ والتهاويل
لآلهة من الحجر : أطلقوا عليها الهبيل الكبير
والهبيل الصغير والعزى واللاتي الخ .. لا أحسب
أحدا يجرؤ أن ينسبها إلى الفن في قليل أو كثير .
انه حقا لمن مفاخر اللغة العربية أن تبرز وحدها هذا
البروز بين الرمال كأنها عرار أو أقحوان . ولعل
الفضل في ذلك للشعر . فالشعر زهر قد ينبت في
الخلاء . أما النثر فيحتاج في نموه إلى العمران . لكن
جاء العمران بعد ذلك بظهور الاسلام وتكونت
حضارة اسلامية واسعة الأرجاء . فأقيمت المساجد

الجميلة على انقراض الهياكل القديمة . وشيدت القصور
وملئت بالبدائع والطرائف . وتقدمت الصنائع
وازدهرت الفنون . وابتلعت المدينة الإسلامية في
جوفها كثيرا من المدينيات . ومع ذلك فإن الأدب
العربي لم يحاول أن يزيد في قوالب نثره ، أو أن يساير
تلك الفنون المعاصرة ، حتى بدأ للأجيال اللاحقة في
ذلك الفقر الظاهر . والواقع أن الأدب العربي
الإنشائي لا يختال للأُنظار إلا في ثوبين معروفين
« الرسائل » و « المقامات » . والمقامات أعمال قصصية
قصدها سرد حكاية وتصوير أشخاص . ولكن
الانغراق في الوشى اللفظي والاحتقال بالوضع اللغوي
صرف هم الكاتب عن التعمق في التحليل والافاضة
في السرد والاجادة في البناء . فالأدب العربي الإنشائي
قد عني باللفظ أكثر مما يجب ولم يشأ أن ينزل عن
تكلفه الذي يعتبره فصاحة وبلاغة ، ليصور ما يبعث

في نفس الشعب من احساس ولا ما يهيجه من خيال .
 وهنا حدث أمر عجيب . ان روح الشعب لا يقهر .
 هذا الشعب في عصور الحضارة الاسلامية المختلفة
 قد تعطش للون جديد من الأدب غير لون البداوة
 الأولى . لون من الأدب مستمد من احساسه هو
 بالحياة الجديدة المتطورة المتغيرة ... أدب جديد قائم
 على فن مشابه ومسائر للفنون الزاهرة المعاصرة ، التي
 يراها بعينه ويهيم في مرامها بخياله ... فلما لم يشأ
 أدباء الفصحى أن يمدوا الناس بحاجتهم . لجأ الناس
 إلى أدباء من بينهم لا يملكون أداة اللغة ولا جمال
 الشكل ولكن يملكون السليقة الفنية وروح
 الخلق ... وهنا ظهر الأدب الشعبي ... فما ظهور
الأدب الشعبي أحيانا إلا علامة قصور أو تقصير من
الأدب الرسمي . او صرخة احتجاج على جمود
 الفصحاء ... هكذا ظهر القصص الشعبي في صورة

عنترة ومجنون ليسلى وكثير عزة ... الخ ... وسارت الحضارة الاسلامية فصار معها الأدب الخيالى الاجتماعى الشعبى فاذا نحن أمام عمل فنى رائع هو « الف ليلة وليلة ». ثم نبت فى كل شعب من شعوب الاسلام قصصه الذى يطبعه بطابع عصره . فكان فى مصر قصة « أبى زيد الهلالي » و « سيف بن ذى يزن » و « الظاهر بيبرس » الخ ... ومن الغريب انك إذا تأملت « التصميم » الفنى والبناء الروائى لهذا الأدب الشعبى وجدته من حيث الفن لا اللغة هو السائر فى الطريق الصحيح محاذيا تلك الفنون الجديدة التى قامت بقيام الحضارة الجديدة . فلقد كان من المستغرب حقاً للباحث أن يرى حضارة اسلامية عظيمة ذات فنون زاهرة وعلوم راقية ولا يجد فى أدبها أثراً انشائياً مثل « الشاهنامة » أو « الرامايانة » أو « الالياذة » أو « كليله » ودمنة » الخ .. حتى كادت تهيم العقلية

الإسلامية بعقمتها ولكن الأدب الشعبي الإسلامي
صحح الوضع أمام التاريخ العلمي . واثبت ان الحضارة
 الإسلامية سارت في مجراها الطبيعي . مع هذا الفارق :
 وهو انه في الحضارات الأخرى الهندية أو الفارسية
 أو الاغريقية كان خاصة الشعراء والأدباء هم الخالقين
 لتلك الآثار . اما في حضارة الاسلام فقد تخلى الخاصة
 عن بعض هذه المهمة لعامة أدباء الشعب وشعرائه
 ووقفوا بعيدين عن كل تغيير أو ابتكار ... حتى القرآن
 ما حاولوا أن يفتفعوا به انتفاعاً فنياً . لقد أتى القرآن
 بجديدي فن الكتابة : لا اللغة وحدها ... بل القصص .
 لقد استخدم الفن القصصي في التعبير عن المرامي
 الدينية السامية . ولكن المدهش ان الأدب العربي لم
ير في القرآن إلا نموذجاً لغوياً .. ولم ير فيه النموذج
الفني ... فلم يخطر له استلهاهم قصصه أو الاسترشاد
بها أو استغلالها استغلالاً فنياً مستفيضاً ... ان وحي

الأدب العربي لم يرد أن يتحرك ... لا إلى أعلى ولا
إلى أسفل ... لا نحو القرآن ولا نحو الشعب ... من
الانصاف أن أستثنى واحدا هو «الجاحظ». ان هذا
الكاتب شعر فيما يبدو لي بالغاظة . فسلك مسلكا
آخر ... ونزل إلى الشعب يستوحيه . ويصور أسواقه
وبخلاءه ولصوصه وتجاره وشرفاءه وخبثاءه ... في
أسلوب بسيط حتى يعد مثالا طيبا للنثر التصويرى في
عصور الحضارة والعمران ... وهو بعينه الأسلوب
الذى أثار على الجاحظ المسكين نقد المتنطعين من
أدباء عصره فرموه بالعامية والركاكة والابتذال ...
وأريد ان أستثنى أيضا بعض الجانب الفنى لمقامات
بديع الزمان . فهو من حيث رسم أشخاصه وتصوير
المجتمع فى عصره يكاد يهطينا أحيانا صورا ناطقة على
صغرها ... تذكرنى بصور «المنياتور» القارسى . ولم
يفسد هذا الأثر الفنى إلا أسلوبه اللغوى . فلو أنه

وضع بلغة الجاحظ في بخلائه لكان أدنى إلى السكال .
ولكن هذا الأثر لم يكتب فيما يظهر إلا لابرار
رصانه اللغة وثرأ اللفظ وبراعة السجع . أما الفن فلم
يخطر للسكاتب على بال ... الواقع أن تباهى أدباء العربية
بالثروة اللفظية والمهارة اللغوية كاد يقتل النثر العربي
نفسه ، فلم ينقذه من هذا المصير ، كما قلت لك ،
غير طائفة الفلاسفة وفقهاء الدين والمؤرخين ومن
شابههم من الباحثين الجادين . وان مؤرخى الأدب
أو رواته على الخصوص كان لهم أعظم الفضل في تيسير
اللغة العربية والباسها حلة نضرة دون التجاء إلى التصنع
المجوج : « الأغاني » و « العقد الفريد » و « نهاية
الأرب » و « الأملى » و « النوادر » و « البيان
والتبيين » الخ ... على أننا بعد ذلك إذا طرحنا جانباً
أعمال مؤرخى الأدب ورواة أخباره ، على أهميتها
وسلسلة لغتها ، وأردنا أن نبحث عن فن أدبى يعد

في ذاته خلقاً انشائياً فنياً لما وجدنا شيئاً يضارع الأدب
الشعبي في : الف ليلة وليلة وعنترة ومجنون ليلى وأبي
زيد الهلالي الخ . فهذه الآثار على الرغم من انعدام
الروعة اللغوية فيها وضياع الجانب الشكلي اللفظي قد
استطاعت أن تؤثر بمجرد فنها . ذلك أن القوة الخالقة
في روح الشعب لم تضل لحظة عن طريقها إلى
الخلق الفني . ومع ذلك فقد ظل الأدب الشعبي حتى
اليوم غير معترف به في تاريخ الأدب العربي . بل
إن أثراً خالداً مثل « الف ليلة » اعترفت به اليوم كل
أمم العالم ... ونقلت قصصه إلى كل لغة ووضعت في
كل يد ... حتى أيدي الأطفال ... (تذكرت الآن
أن ولدك الصغير جانو أدهشني يوم قابلته أول مرة
في كورنفوا فقص على اقصوصة علاء الدين والمصباح
على نحو أثار عجبى) هذا الأثر الفني المشرف لم يعترف
به أديب عربي اعترافاً صريحاً . لقد انطوت قرون

وما يزال هذا السد قائماً كما أنه سد الصين بين النهر
العربي بسجعه وبلاغته المصطنعة وبين خيال الشعب
ورغباته وآماله . (لو أن أدباء اللغة الفصحى هدموا
هذا السد من قديم وزلوا عن بعض جمودهم وسايروا
تقدم الفنون في زمانهم وعبروا عن مطالب عصرهم
وشعبهم لكان الأدب العربي اليوم في مقدمة
الإدب العالمية .) فليس الروب هم أساتذة القصة
ولا الانجليز ولا الفرنسيون ... بل نحن بما لدينا من
قرآن عرف القصص . وما خلقنا في مجتمعنا من
اشباه غنرة وألف ليلة وليلة وما وضعنا في لغتنا من
مقامات تعد أساساً لفن الأقصوصة . لأحق من يزعم
بأننا أساتذة هذا الفن الروائي .. لكن وا أسفاه ...
هم أولئك الجامدون الذين وقفوا حيث هم وتركوا
لغيرهم تلك الكنوز يغترفون منها ويربون عليها .
ان هذا الذي أسميه سدا بين الجامدين والمجددين ..

لقد انكمحوا إلى اللغة البسيطة ولا يجب أن تكون اللغة المعقدة
الصعبة وإنما اللغة التي يفهمها الجميع.

- ٢٣٣ -

أو هذا السديين الأموات والأحياء كان دائماً موجوداً
في تاريخ كل لغة... ألا تذكر « دانتي » وكيف
حطم هذا السديوم أصر على أن يكتب « الكوميديا
الالهية » لا باللاتينية لغة العلماء في عصره بل
بالإيطالية لغة الناس في زمانه.. و « مسترال » يوم
وضع ملحمة الشعرية الرائعة « ميراي » بلغة الريف
الفرنسي، وهي لغة لم أستطع فهمها مما ألجأني إلى قراءة
ملحمته في ترجمتها الفرنسية العصرية. ومع ذلك لم
تحل لغة الريف دون تسنم ذلك الشاعر قمة المجد
واعتباره من أكبر شعراء فرنسا والعالم، لأن اللغة
لم تكن يوماً حائلاً في أوروبا دون تقدير الأثر الفني
في ذاته. أما عندنا فهي حائل دون مجرد الاقتراب
منه... كأنما هو شيء مضرر بمقام فضلاء الأدباء. لهذا
لم نجد أدبياً عربياً جرؤ على النظر في آثارنا الشعبية
الرائعة من حيث هي فن وخلق طارحاً مسألة لغتها

جانبا متغاضيا عما في هذه اللغة من اسفاف وقصور
وعدم كفاية . لقد رضى الفضلاء أن ينظروا في تاريخ
الجبرتي وهو تقريبا باللغة العامية . ولم يرضوا أن ينظروا
في الف ليلة وليلة وهو اسلم لغة في نظري من كتاب
الجبرتي . لكن السبب عندهم : أن ذلك تاريخ وهذا
أدب . والأدب في عرفهم مرادف اللغة .. فاللغة .. اللغة
هي لدينا شبح الأدياء المخيف . نحن عبيد ذلك الميراث
من الألفاظ والعبارات والتراكيب التي وجدناها
داخل صناديق المعاجم العتيقة وكتب اللغة القديمة ..
* اننا ننظر فيها بحرص خشية أن ينفذ اليها نور هذا
العصر أو نسيم هذا الزمن فيعيث بنسيج عنكبوتها
المقدس : يا شبح القدماء المروع ! . يا لشبح الأموات
الذي يرهب كل من يعتبر اللغة كائنا حيا يتغير ويتطور ،
وكل من يحاول التصرف فيها طبقا لمطالب العصر
وروح الزمن .. ان اعتصام الموتى ومن معهم خلف

ذلك السد الهائل الذى يقصيه عن عالم الأحياء
بنزعاته الجديدة وأذواقه الخاصة ومقاييسه الشخصية
كان هو السبب فى قيام حركات التجديد والإصلاح
والنهضة رافعة معاولها فى وجه ذلك السد ... كل
عملية تجديد وبعث ليست سوى تحطيم السد بين عالم
الأموات وعالم الأحياء. أعتقد أن « الجاحظ »
فى مسألة اللغة والتصوير الشعبى وقف بعض الشيء
موقف « دانتي » . وحاول أن يحطم ذلك السد قليلا .
ولو أن الأمور سارت بعد ذلك سيرها الطبيعى طبقا
لشريعة التطور لتقـدمت اللغة العربية منذ
زمن بعيد . ولكن الغريب أن نجد كاتبا فى هذا
العصر مثل « المولى الحى » عندما أراد أن يصور الشعب
المصرى - وهو اتجاه طيب - فى كتابه « عيسى بن
هشام » لم يستعمل لغة « الجاحظ » ولا حتى لغة
« ابن المقفع » بل استخدم لغة الحريرى وبديع الزمان !

بماذا نفسر ذلك ؟ إلا أن يكون هذا هو الاختيار
الطبيعي الجدير بعصر نكاس وانحطاط ! على أن البوادر
تدل اليوم على نزعة جديدة في أسلوب الكتابة ...
وان كانت القوالب الأدبية لم تتنوع كثيراً .. ولعل
باب « المقالة » هو أبرزها مكاناً وأسرعها سيراً في
طريق التطور والتجديد ... غير أن الشعور العام
بضرورة التنويع في الأساليب والأبواب يسرى
الآن في الطبقات المستنيرة ... ؟

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

إني أضع دائماً نصب عيني تلك المصادر الثلاثة
استلهمها فنياً : القرآن ، والف ليلة وليلة ، والشعب
أو المجتمع .. ولكن الأسلوب ... الأسلوب . لطالما
شغلتك معى بالحديث عن الأسلوب الفنى الذى أبحث
عنه . أين أجده أخيراً ؟ .. ومع ذلك فى وهمى انه قد
يكون على مقربة منى دون أشعر . لم لا يكون هو
ذلك « الحوار » الذى انفقت فى ممارسته وقتاً طويلاً ؟
انه « القالب » الذى بدأت معالجته — كما تعلم —
قبل نزوحى إلى أوروبا . ومن أجله انصرفت حتى عن

الكتابة السياسية « المحترمة » في نظر أهل بلادى...
لا يمكن أن يكون هذا الوقت والجهد قد انفقوا
عبثاً... لم لا تقول ان « الحوار » هو أسلوبى الذى
أحرق بحثاً عنه ؟ لقد كان هو كما تعلم الناحية التى
استرعت نظر من أطلع على مخطوطاتى فى فرنسا
من أدباء وفنانين . آه... لو أمكن ادخال « الحوار »
قالباً أدبياً وباباً مرعياً فى الأدب العربى ... ؟

حاشية — أتدرى يا اندريه لماذا لا أتوقع نجاحاً ؟
لأن التمثيل فى بلادنا أو « التشخيص » هو حتى
اليوم بمعزل عن « الأدب » . فالرواية التمثيلية عندنا
شئ، يمثل ولا يقرأ . وربما كانت للأدب عذره...
فالتمثيلية لدينا لا يمكن أن تقرأ ، لأنها قائمة على
مجرد الحوادث المثيرة والحركات والمفاجآت .. ولا

تعرف بعد الحوار القائم على دعائم الفكر والأدب
والفلسفة ... لكن إذا وجد هذا الحوار الأدبي
الفكري الصالح للمطالعة ... فماذا ترى يكون موقف
الأدب العربي منه ... ؟

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

لا يزعجك سيل خطاباتي المتدفق عليك . فاني
أذكر قولك ان رسائلي تنفعك أحيانا « لتلف »
فيها فرشاة أسنانك وأدوات حلاقتك وأزرار قميصك
ومختلف حوائجك الصغيرة في اسفارك بين ليل
وباريس . فما يضيرك اذن استلام الخطابات الكثيرة؟
ما دمت لا تجيب ولا تتكلف شيئا . لعل لكتابتي
اليك اليوم سبباً واضحاً معقولاً : فاليوم هو عيدنا
الكبير والموسيقى تعزف بالأبواب طالبة ما نسميه
« العيدية » . والأراجيح منصوبة . والصبيان

والأطفال يتصايحون وينفخون في المزامير الصغيرة
بملايسهم الحمراء الفاقعة والصفراء والخضراء . والجميع
يقول بعضهم لبعض (كل عام وأنتم بخير) فلماذا
لا أقول لك أنت أيضا هذه الجملة ...

ثم هنالك سبب آخر هو أننا في هذا العيد
نضحى بخروف . ولقد أكلنا يا سيدي اليوم ضلع
خروف ممر . ووالله لقد تذكريك . ولعلك أحسست
اللحم المحمر في بطنك . وقد أكلته باسمك كما أكلت
أنت باسمي في ليل « ستة » المحار الأخضر الذي
أحبه . لكن واأسفاه ! كان ذلك فيما مضى . أما
اليوم فأنا أحس بيطني « الزفت والقطران » . فماذا
تراك تأكل الآن باسمي ؟ !

لست أدري لماذا أتذكر الآن كثيرا موقفى
معك في باريس قبيل سفرك إلى ليل . فقد كان بخلي
مخجلا وقسوتى شديدة . إذ رفضت اقراضك كل

ما كنت محتاجا إليه . وأنا على علم تام بأنني لن ادعك
حتى اقضك ما شئت . ولكني أردت تعذيبك .
فجعلت ألوح لك بالمحفظة ، وجعلتك تتبعني ذليلا في
كل مكان . حتى قهوة « مونمارتر » . انها كانت ليلة
عجيبة . أتذكرها يا اندريه ؟ لقد قلت لك : لا نقود إلا
بعد سهرة ممتعة . فقد تكون هي سهرة الوداع ...
(وقد كانت) ... وعهدت إليك بمهمة اقتناص ظيبتين ،
لما لك من خبرة في هذه الأمور . فجلسنا في ذلك
المشرب المائج بالطباء إلى قبيل الفجر نتجاذب أطراف
الفلسفة والفنون . وجرفنا الحديث في لبنيتز وكانت
وديكرت وبرجسون ونظرية الجمال في الفلسفتين
الألمانية والفرنسية ... فنسيناما كنا قد جئنا لأجله .
وأغلقت المشارب وأطفئت الأنوار . فقمنا خائبين
نتعثر في أذيال عاهرات الحى بأثرات آخر الليل . ونحن
نسأل أنفسنا السلامة من شر « الأباش » الأوباش

Spécialité

وَجِئَاةٌ إِذَا بَكَ تَشْعُرُ كَأَنَّ ذِرَاعًا تَضْرِبُ فِي ظَهْرِكَ ،
فَالْتَفَتَ مَذْعُورًا فَإِذَا هِيَ عَاهِرُ شَوْهَاءٍ تَسْتَوْقِفُكَ ،
فَخَلَصْتَ نَفْسَكَ بَعْدَ جَهْدٍ وَقَدْ هَدَأَ رَوْعَكَ بَعْضُ
الشَّيْءِ ، وَقُلْتَ لِي : « كُنْتَ أَحْسِبُهَا لَصًّا » ! وَفَاتَتْ
مَوَاعِيدَ الْمَتْرُوِّ وَوَقَفْتَ الْمَوَاصِلَاتِ . فَلَمْ يَكُنْ بَدَ مِنْ
تَمْضِيَةِ مَا بَقِيَ مِنَ اللَّيْلِ فِي حَجَرَتِي الْقَرِيبَةِ بِشَارِعِ
رُوشْشُورٍ . وَهِيَ جَعْرُ فَارٍ . وَكُلُّهَا لَيْسَتْ غَيْرُ سَرِيرٍ
وَتَحْتَ سَرِيرٍ . فَتَقَسَّمْنَاهَا بَيْنَنَا بِالْقَرْعَةِ . فَكَانَ حِظُّكَ
أَنْ تَحْتَلَّ أَنْتِ الْأَرْضُ تَحْتَ السَّرِيرِ . وَمَا كَدْتَ أَتَمُدَّ
عَلَى فِرَاشِي حَتَّى صَحْتُ بِي أَنْ لَا نَوْمَ يَرْجِي لِي إِلَّا إِذَا
ظَفَرْتَ أَنْتِ بِمَبْلَغِ الْقَرْضِ قَبْلَ النَّوْمِ . فَتَنَعْنِي النَّعَاسُ
مِنْ مَنَاقَشَتِكَ الْحِسَابِ وَالِاسْتِمْرَارِ فِي تَعْذِيبِكَ .
فَدَفَعْتَ إِلَيْكَ الْمَبْلَغَ وَأَنَا نَصْفُ يَقْظَانٍ . وَنَمْتُ
وَاسْتَفْرَقْتُ فِي النَّوْمِ فَلَمْ أَنْتَبِهْ إِلَّا بَعْضُ انْتِبَاهٍ إِلَيْكَ
وَأَنْتِ تَحَاوِلُ إِصْلَاحَ جَرَسِ « الْمُنْبَهَةِ » الْمَكْسُورِ

ليوقظك في منتصف السابعة . ولست أدري بعد ذلك
هل طاوع المنبه الضيف الكريم فأيقظه في الموعد
المطلوب ... ؟ كل عامي انك استيقظت مبكرا مثل
العفريت وملاأت الحجرة جلبة وضجيجا . تارة تفتح
الأدراج بعنف للبحث عن منشفة وجه نظيفة .
وتارة تشد مسن آلة الخلاقة ، وقد وضعت فيها سلاحا
جديدا هو الوحيد الذي كنت أدخره لأيام تزهتي .
وتارة تزيل الغبار عن ثيابك وقبعتك بصوت كالرعد ...
وأخيرا ... سمعت باب الحجرة يفتح ويغلق ... ثم ...
ثم لم أرك بعدئذ قط ... م

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

أهنتك أولاً بعودتك إلى باريس . ولو ان خبر
مرض جرمين أحزننى غاية الحزن . وإنى لأوصيك
أن تتبع الحيطه فى علاجها وأن تعنى بها العناية كلها
مهما يكلفك ذلك من نفقات ...

إن رسائلك يا اندريه تفتح أمامى أبواب
موضوعات ، إذا طرقها فلن أستطيع الخروج منها
قبل أن أملأ صفحات . جاء فى خطابك السابق كلام
طويل عن نفسى وصفائها وعدم صفائها . أمر لم أرد
عليك فيه بنعم أو بلا . على انى حسبت انى أجبت

عنه في موضع من المواضع . أو ربما كانت اجابتي في
شيء آخر . ان مصيبتى هي في عجزى عن اخراج
ما في نفسى كما تصورته أول مرة . ان الفكرة
لتتكون في نفسى ، وتنمو وتمتد وتتخذ شكلا
منتظما في رأسى . بل إنى لا أنفق أياما في بناء
الأشخاص في مخيلتى . وترديد ما يقولون من كلام
وما يتحاورون به من حوار ، ولا يبق إلا أن أمسك
بالقلم لأضع على الورق كل هذه الحياة الزاخرة النابضة .
فاذا .. واأسفاه . شيء آخر باهت بارد كالجثمان
الهامد هو الذى يخرج . عمل واحد استطاع أن ينجو
من هذه النهاية : عمل دفعتنى نفسى إلى كتابته ،
دون أن أستجمع فى رأسى شيئا من تفاصيله أو أستحضر
فى خاطرى دقائقه وأجزائه . ومن الغريب ان
الأشخاص تسكون وتلونت وكأنها مخلوق وجودها
بذاتها . وسارت القصة بأشخاصها وبى إلى حيث

لا أدري : إلى أن أخبرتنى الأشخاص أنفسها بالنهاية
المحتومة التي لا بد لها أن تنتهي إليها ...

لماذا أكتب إليك كل هذا الهراء ؟ أنت الذي
برهن لي في فترات على قلة اكترائه بما أصنع وبسخريته
من آلامي وقلقي النفسى وشكوكى وأزماتى !
لطالما حرصت مع ذلك على اخفاء أغلب هذه الأشياء
عنك . ولا تغضب على . لقد شعرت فى يوم من
الأيام أن صداقتنا لا تركز على التشابه ولا الاتفاق
ولا الاتحاد . لقد كنا طرفى تقيض . لم يكن لى حتى
حق الافضاء إليك بما يملأ كل كيانى الروحى .

أتدري ما هو هذا الشيء الذى كان يملأ كل كيانى
الروحى ؟ هو حى الخلق الفنى . لقد كنت أخشى
استهزاءك بهذا الشيء المقدس عندى . انى ما كنت
أطلمع إلا على ما أطيق تعريضه لسخريتك . انك
ما كنت تستطيع أن تفهم ما كنت انا فيه وقتذاك .

لقد كنت انت رجل « واقع » أكثر مما ينبغي
« لشاعر » ... هل كان في مقدورك فهم تصرفاتي
الجنونية في ذلك الحين ؟ تصور اني قضيت شهورا
أجهد ليل نهار في عمل أدبي جديد استغرق هو الآخر
مئات الصفحات . ولم أفطن لنفسى إلا يوم جاءتنى
تلك البرقية تدعونى إلى العودة إلى بلادى . كان فى
البرقية هذه العبارة : « احضر بأول مركب . تعيينك
تقرر » . وتسامت بعدئذ نقودا للسفر وخطابا يوضح
لى فيه امكان شغلى وظيفه بالنيابة العمومية المختلطة .
عندئذ شعرت بما يشعر به ملاك فى السحب وهو
يهوى إلى الأرض ! أنا ؟ أنا الذى يعيش فى سماء
الفن يفكرون له فى وظيفة من الوظائف ! هؤلاء
الناس قد جنوا من غير شك ! كيف بمخطر على بالهم
أن يوظفوا ملاكا من ملائكة السماء ! وأعدت النظر
فى خطاب أبى الذى يقول فيه : انه لا يرى حتى ذلك

الوقت في بلادنا شخصا انفراد بحرفة الأدب دون أن يكون له عمل آخر هو عماد حياته وقوام عيشه ... وقال « انه لا يصح القياس مطلقا بما هو حاصل في اوروبا . فان الوقت لم يحن بعد في بلادنا لأن يضحي أحد بمستقبله في سبيل الأدب مثل هذه التضحية التي لا تدرك البلاد قيمتها ولا تشعر بها ولا بصاحبها.. »

لعل في هذا الكلام صوابا . ولعلی طلبت إلى أهلى أكثر مما تحتمله الطبيعة الأتوية . وارتدتهم أبطال قصص يأخذون الحياة كما أتخيلها أنا . هنا فقط تذكرت لأول مرة مسألة « أكل العيش » نعم ، ينبغي أن أكسب لقمتى على الأقل . فأنا مخلوق يأكل ويشرب . ولم يغب عن والدى كل ما يحتمل صدوره منى فنص في خطابه : « لن أنفق عليك مليما واحدا بعد الآن إذا أخذت المال المرسل للسفر فصرفته في غير وجهته ولم تحضر ، وضاعت الوظيفة

بسببك . ما العمل ؟ ومخطوطاتي الأدبية لم تتم .
إنى فى حاجة إلى عامين آخرين فى هذا الجوال الفنى
لأ كمل عملى . لقد تغلبت إلى حد ما على صعوبات
الخلق والتكوين . ولكن هناك صعوبة الأسلوب .
إنى أكتب بالفرنسية . فلا بد لى من امتلاك ناصية
الأسلوب الفرنسى . وخاصة ذلك الأسلوب الحديث
الذى يشبه موسيقى « سترافنسكى » الحديثة فى
تعدد ألوان عباراته وأبريقها الخاطف بالصور ومفرقاتها
المدوية بغريب المعانى ، كأنها سوارىخ الأعياد
والسكرنفالات . لا بد لى من المكث بباريس عامين
آخرين . كيف السبيل إلى ذلك ؟ هل يستطيع
اندريه أن يقاسمنى نصف نقوده ، ونعيش فى
حجرة « منسارد » كحجرة ايفسان ، ونأكل كل
الكلاب من أجل « تخريفة » لتوفيق الحكيم !!
هذا ما كان اندريه لا شك قائله ! اطمئن يا اندريه .

لم يخطر ببالي قط خاطر كهذا . ربما كنت قد فكرت
لحظة في البحث عن عمل بباريس ، ولعلني فكرت
في الالتجاء إليك لتجد لي مكانا صغيرا في أحد
المصانع . ولكنني طردت من رأسي هذه الفكرة على
عجل . فأنا أعلم صعوبة الحصول على عمل حتى للفرنسي ،
في زمن كثر فيه العمال العاطلون . وان وجد العمل
فان نفسي ليشق عليها مزاحمة الفرنسي في بلاده على
انتزاع اللقمة من فيه . وأخيرا رأيت كما تعلم ان الأولى
بني الاصغاء إلى نصيح مسيو هاب وترك الكتابة
بالفرنسية . ووضع عملي من جديد في لغتي ولغة
بلادى التي لازمتني منذ الصغر . فأنا في الحقيقة
لا أريد مطلقا أن أكون مثل أولئك (اللقطاء)
من الاجانب الذين ياجأون إلى الفرنسية لانهم
لا يمكنهم ان يكونوا لغة قومية عريقة . . . انما هو الاصرار
العنيف على أن أنتزع من باريس ما يقنعني بأنى

حقا قد أصبت من الادب والفن شيئا . . . وما يقنع
أهلى المساكين بأنى لم اضع حياتى سدى ... لكأنى
أردت من باريس شهادة أعود بها فى موكب زملائي
من دكاترة الحقوق الراجعين بألقابهم العلمية الطافرة ...
ولكن باريس خذلتنى ... وأفهمتنى أن الخلق الفنى
شئ آخر ... وان الطريق إلى الفن طويل وعمر ...

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

أمس فقط طالعت رسالة قديمة منك ، حينما
كنت فى « ليل » ، فاذا أنت تصفنى بأنى ذو قلب
طيب صاف . بل أكثر من ذلك : قلت انى من
« اولئك الأصدقاء النادرين فى الصداقة » . وتلك
كلماتك بنصها . أتذكر الآن ما قلت ؟ لقد أخبرتك
ان هنالك أشياء أو على الأقل شيئاً واحداً لا أجرو
على مصارحتك به ، لأننى لا أطيق أن تتناولوه
بسخريتك . شئ كنت أقدمه ، كما قلت لك ،
بكل ما يستطيعه قلب شاب طائش . لم يكن الحب ،

يا صديقي ، في باريس بالقوة التي تخرجني عن التوازن .
إنما الذي أخرجني عن طوري هو حب الأدب .
وحلت المطامع الأدبية عندي محل المطامع العاطفية .
ولكل حب « عذال » كما نرى نحن أهل الشرق .
وقد كنت أنت عندي « عاذل » الأدب . ترميني
بالخيال والجنون بحجة ردي إلى حظيرة العقل والواقع .
لذلك ما كان ينبغي لي أن أطلعك على جنوني الأدبي
ومطامعي الأدبية إلا بمقدار . فهل تراني راوغتك
أو أخفيت عنك شيئا غير هذا الشيء ؟ ومع ذلك ،
دعنا من كل هذا . إنها باريس . إنها كانت باريس .
آه يا عزيزي اندريه . إنها عندي كانت حلما . وكل
تصرفاتي فيها إنما هي من قبيل تصرفات الأحلام !
ما كنت أسير بمنطق العقل قط . ولكن اعرفني
الآن ... ها هنا .. وأنا هادي . وأنا في اليقظة .
وبعد ؟ فلماذا تشاء أن تحدد طبعي وشخصيتي الآن ؟

ألم أقل لك مرارا انى شخص غير مفهوم الآن حتى
لنفسى ! على انى أعتقد انى خلقت للخير لا للشر .
وإذا نفذ إلى الشر فمنكم انتم يا أصدقائى ومعارفى .
اندرية ، ما هذا الانقباض والا كتئاب فى آخر
رسالتك ؟ إنك تذكرنى بتوفيق الحكيم فى إحدى
أزماته القلبية والفكرية ببواريس ! ولا عجب لمشله
إذ يكتب هناك وينقبض على الدوام ، فلقد كان
تعسا حقاً . خائبا فاشلا فى كل نوع مارسه من أنواع
الحياة ، خاب فى الجامعة . وخاب فى الحب . وخاب فى
الأدب . لم يظفر قط بانتصار فى شىء ما . ذلك
الانتصار اللازم للشباب كى يتمتع . لزوم الأمطار
للأزهار ! لقد صفعه الحب على الخد الأيمن ، ولطمه
الأدب على الخد الأيسر . ثم وقع أخيرا ذليلا على
أرض العذاب النفسى إذ تذكر انه ما زال يعيش من
مال أهله . فهو ليس حرا حتى فى الفشل . وليس له

الحق حتى في حرية الرضا بالشقاء . ولكن انت
يا اندريه ؟ ما الذي يقبض نفسك ويملؤك اكتئاباً ؟
اعلمه منظر الخريف الكئيب حولك وتساقط الأوراق
الصفراء . ان قلب الشاعر « مقياس حرارة » يتأثر
أحيانا بمظاهر الطبيعة ، فيبكي لبكائها ، دون سبب
آخر يدعو به إلى البكاء . لم يتحلى في لحظة من لحظات
حياتي أن أحزن لحزن الطبيعة أو أبسم لا بتسامها .
فان ما عندي من أزمات داخلية شغل قلبي دائماً عن
الطبيعة . ان عيني مصوبتان دائماً إلى أعماق قلبي !
آه لو نزع عني قليلاً هذا « الجراب » المملوء بالآرزاء !
يبدو لي يا اندريه اني إذ أرفع بصري إلى الحياة
الخارجية وأنسى نفسي الداخلية ، يعود إلى الصفاء
ويشرق وجهي بروح الفكاهة والمرح . اني أستطيع
أن أكون أكثر الناس مرحاً ودعابة وضحكاً .
فأنا أملك هذه الروح الفكاهية أحيانا . ولكنني

لا أجرؤ على الابتسام طويلا . لا تحسب يا اندريه
ان أسباب كآبتي وضعف ثقتي بنفسى قد زالت
الآن . على النقيض . ومع ذلك فهما أنت ذا تشعر
بتغير فى حالتى النفسية . الواقع انى تغيرت . فأنا
هادىء ، صاف . مطمئن . فلاحى ولا حرارة ولا
حماسة .. ولا شىء يهزنى من تلك الأشياء . ربما
كان هذا لأنى لم أعد أطمع بعد فى شىء . فأنا أسير
فى يد الزمن كما يريد لا كما أريد .

معذرة إذا كنت أتجنب الكلام فى انقباضك
انت ، فأنا أحب ان تعلم انى لا أعيره أهمية ولا التفاتا .
وإنى لأراه غمامة سوداء من غمام الخريف . ان ثقى
فيك وفى قوتك وفى نجاحك فى الحياة لعظيمة .
وختاما أنصح لك أن تصحح عقيدتك فى مرة
أخرى ... ؟

طنطا في ...

عزيزى اندريه

أهنتك « بالنويل » وبالعام الجديد من مدينة
« طنطا » ، فقد عينت وكيلًا للنيابة بهذه المدينة .
إنها عاصمة إقليم يعد أكبر أقاليم القطر المصرى .
لك أن تفخر اذن بصديقك بعض الفخر ! لن أمضى
في الكتابة لأننى غير متتبع ما تفعل الآن . فقد
انقطعت بيننا السلسلة . وأخشى أن تكون غير
مستعد لانفاق بعض الوقت فى مطالعتى .

إنى مطمئن كما ترى بعض الاطمئنان . فالعمل
فى القضاء قد قضى على كثير من هواجسى الأولى .

إني أبت الآن في حياة الناس ، وأطلب رؤوس الناس .
فيجب على الأقل أن يكون لي رأس يدري ما يصنع .
ومع ذلك . . كلا . . لست في الاطمئنان الذي
تظن . اكتب إلى . اكتب إلى يا اندريه كما كنت
تصنع من قبل . انك لا تدري خطورة سكوتك ! .. ؟

منطفا في ...

٨

36 pages
2/2/2

عزري اندريه

رسالة منك ... أخيرا ؟ : آه صدق من قال ،
وأنت نفسك القائل . ان لا يجب ان آخذك أحيانا
على سبيل الجد . لو علمت كيف أقت الدنيا في نفسي
وأقمتها لسكونك . وأخيرا ها أنت ذا تسكلم فأترا
باسم تلك البسمة الساخرة لتقول لي في هدوء وبساطة :
« لماذا كل هذه الأهمية التي تريد أن تعطيتها لسكوني ؟ »
يا لله ! بماذا أجيب ؟ لا شيء . ان الحق لا شك
في جانبك .

والآن فلنتحدث . تقول إنك لا تكتب إلى

$$\begin{array}{r} ٢٠٧ \\ - ٢٦١ \\ \hline ٥٦ \end{array}$$

لأنك الآن تعيش بلا تفكير . عجباً . أو لا يمكن
أن تكتب إلى بغير أن تفكر . أحقاً أن اتصálnا
الكتابي له عندك كل هذا الاعتبار ! أترأه قد سلم
من عبثك وهزلك ؟ وما عساك تقول إذا أخبرتك
أنى الآن أبعد منك شوطاً فى هذا السبيل . عبثاً
تحاول اليوم أن تتعرف فى محب الأدب والفن
والتفكير . كلمات كانت هى كل حياتى منذ سنوات ،
وان شئت فقل ... وجودى . تقول ان ليس لديك
الوقت الآن المطالعة والتفكير . فان الحياة قد جرفتكم
فى خضمها . هذا حسن . أما أنا . فحتى ان وجدت
الوقت فاست واجدا الجو ولا المحيط ولا البيئة ولا
المناسبة . كل ما يكتنفى اليوم من مناظر وجماد
وانسان لا يشير فى شيئاً مما يرفع النفس فوق ذاتيتها ،
فكل ما حولى هو مما يهبط بالنفس أدنى من ذاتيتها .
إنى أعيش فى جو الجربة . وأحياناً فى عالم الغرائز

الدنيا . إني مع القبح الآدمي ، المادي والمعنوي ،
ليل نهار ووجها لوجه ! La Laideur !.. La Laideur .
أهذه هي الحقيقة ؟ أهذا هو عالم الواقع الذي كان ينبغي
أن أهبط إليه ؟ ! لعلك تريد أن تسألني متعجبا : كيف
أنت كوكيل نيابة ؟ « لأنك مازلت تعتبرني الشخص
الفارق في الخيال . ولم تستطع قط أن تصحح من
رأسك تلك الصورة . واأسفاه ! .. لو علمت كيف
تحطم اليوم هذا المثال ! الأدب والتفكير لم يبق
معى منهما شيء . تقول في آخر رسالتك انك بدأت
مع ذلك تطالع « تاريخ الفلسفة » و « أرسطو » .
واهاً لنفسى وما وصلت إليه ! لكم كنت أود لو
أظل طول حياتي في تاريخ الفلسفة . أى جمال فكري
تحررنا إياه الحياة لتقذف بنا وسط هذه الجثث
والأشلاء ! ولـكنك أردت لى يوما أن أواجه عالم
الواقع . فهالك ما أردت . ها أنذا فى عالم الجثث

والجيف ! : أنا الخيال الذى لا يعرف من الانسان إلا
ما فى الكتب (الفلسفية أيضا) ، أقف الآن فى
كل يوم على عمليات تشرح جثة الانسان ! انا الذى
اعتقد فى نفسه طويلا رقة الحس إلى حد الارتعاد
من منظر اصبع تخرج ، مما صرفنى يوما عن التفكير
اطلاقا فى دراسة الطب ، أمر الآن طبيب المركز
بتقطيع أوصال الجثث بالشرط فى حضرتى لأُنظر
إلى تجاوزيف الصدر والقلب والأعضاء . أنا الشاعر
مرهف الشعور ، أطلب وأشاهد الجزر والتقطيع
ولا أرتعد . أنا الذى كان يحسب الانسان : كصورته
الكتب وتخيله الشعر ... لقد فهمت الآن انى حقيقة
كنت طفلا إذ كنت أجهل من اى شىء تتركب
نحن . ولكنى من جهة أخرى فهمت أيضا كلمة
« جونه » : « ان العلماء يزعمون انهم فهموا الانسان
وقد نزع عنه أثمن شىء فيه ، بل كل شىء فيه ...

(ربما قصد الروح وحياة الخواس) ! . من المستحيل
على من لم يحضر التشریح قط ان يدرك معنى كلمة
« جوته » على حقيقتها . لقد افادني التشریح في شيء :
لقد خرجت منه وانا اشد ايمانا بالروحية من قبل ؛
وأقوى ايمانا كذلك بأنني رجل يستطيع احيانا في
سبيل حب المعرفة ان يكون غليظ الكبد فاقد
الشعور ... وبأنني رجل يدرك ايضا قيمة الخواس
المادية في الانسان ... اجل يا اندريه . درس التشریح
ثبت ايماني بالروحية والمادية معا في كيان الانسان
وجعلني اتأمل مرة اخرى واعيد النظر من جديد في
قضية الأدب . واتساءل ما رسالة الأدب إلى
الناس ؟ ... أهو نصرة الروح ام نصرة المادة ؟ لقد
اعتاد المفكرون تحقير المادة للرفع من شأن الروح .
ولكن أليس المادة صوفيها هي ايضا ؟ ان العين
النشوى بمنظر جميل ، والأنف السكران بشذا

عاطر ، والفم الهانىء بمذاق لذيد .. وكل حواسنا التى
تصلنا بعالم المادة لقديرة احيانا ان ترفعنا إلى سعادة
شبه روحية . كلما تنبهت هذه الحواس وتيقظت
وتدربت وعرفت كيف تستخلص من المادة اجمل
ما فيها ... هنا استطيع ان اقول لك ان الأدب العربى
على ضعفه البنائى وفقره فى القوالب الفنية - كان غنياً
فى مراميه واتجاهاته . فهو لم يطرح من حسابه
الاشادة بالسعادة التى تبعثها الحواس المادية ، الى جانب
اشادته بالمتعة الذهنية التى تصدر عن قوانا المفكرة .
ففى اغلب كتب الأدب العربى تجد فصولاً طويلاً
عن مباحج الأكل والشرب والطعام والخمر والمسك
والريحان ومتع الملابس وحتى متع الجسد او ما يسمونه
« الباه » .. كل ذلك يسجلونه بعناية لا تقل عن
عنايتهم بالفصول الأخرى التى يدونون فيها لذائذ
العقل وطرائف البيان . وهم يكتبون وينظمون فى

موضوعات حسية مما نسميها شائكة بصراحة تامة .
لأن «الفضيلة» عندكم سلوك ومعاملة ورجولة وشهامة
لا انكار لمطالب الحواس ولا إغفال لقوانين الطبيعة..
ذلك في نظري دليل الحيوية . واني لم ادرك معنى
«الحيوية» على نحو عميق الا يوم حضرت (التشريح)
عند ذاك بدأت ارى ان رسالة الأدب ليست نصره
الروح على المادة او نصره المادة على الروح . انما
رسالته اقرار التوازن بينهما بانماء هذه (الحيوية)
في كل منها . لأن (الانسان الحي) حقاً هو ذلك
الكائن الذي تيقظت فيه كل حاسة وملكة . مادية
او روحية . وتكونت وتهذبت حتى استطاعت ان
تحصل له وتخير اجمل ما في الوجود من عناصر
السعادة الروحية والمادية... اعتقد ان تلك غاية
البشرية كلها منذ القدم : ترى اترها في الوثنية (مصر
القديمة والهند والاعريق والرومان) ثم في الاسرائيلية

والاسلام ... ولم يشذ عنها إلا عصر الرهبنة المسيحية
 فى القرون الوسطى حيث طغت فكرة تضحية
 الجسد من اجل الروح . فأهانوا المادة ... تلك الالهانة
 التى ما زالت لاحقة بها حتى اليوم . وخلطوا الفضيلة
 بالزهد .. وخلطوا الرذيلة بالمتعة . وتغير مدلول كلمة
 « الأخلاق الفاضلة » فى ذلك العصر عن مدلولها فى
 عصور الحيوية والفطرة . ولم يخفف عصر النهضة فى
 اوروبا من تلك الفكرة فيما يتعلق بالأدب إلا تخفيفا
 يسيرا ... فلبث الأدباء والشعراء هناك حتى العصور
 الحديثة يرون واجبه فى تحقير المادة والحواس المادية
 عند الانسان . فى رأي ان اغفال أى حاسة من
 حواسنا هو اغفال باب من أبواب المعرفة . إن المعرفة
 البشرية لا تدخل إلينا من باب العقل وحده . إنما
 تتسرب إلينا من كل مسام جلدها وجسدها وذهنها
 وروحها ووعينا الظاهر والباطن . فمن كان يتوق حقا

إلى المعرفة الكاملة والحقيقة العظمى فليفتح لها كل
الأبواب والنوافذ ... كنت أود أن أحدثك طويلا
عن حياتى الجديدة فى طنطا . ولكنى اكتفى اليوم
بأن أقول لك انى اقطن النزل النظيف الوحيد فى
هذه المدينة . وهو « بنسيون » يحوى من النزلاء
ثلاثة من الفرنسيين . وانجليزيا واحدا . واثنين من
الألمان . وهم من المدرسين وموظفى البنك . وقد
اشتريت جراموفون جديدا . وأحضرت من القاهرة
أخيرا « السانفونية السادسة » أى الريفية . وقد
كلفتنى مائة وخمسين قرشا . وأوصيت بشراء
« التاسعة » وهى فى عشر اسطوانات للشهر المقبل ..؟

١٠٨
١٠٨

طنطا في . . .

عزيزى اندريه

أشكر لك أقفاص المحار البرتغالى التى أرساتها
إلى مصورة على ظهر « كارت پوستال » . انك
عرفت كيف تثير منى الذكرى وتجري من فى اللعاب .
وبعد ، فلقد تباطأت فى الكتابة إليك . لأنى بالخبرة
والتجربة تبين لى انك ذواقه فى شئون الفكر ،
كما أنا كذلك فى شئون الفم ، على الأقل على حد
اتهامك اياى . فرسائلى التى لا تعجبك لا تحسب
عليك . لهذا آثرت السكوت على الكلام الفارغ .
هذا سبب . والسبب الآخر ان حياتى الآن تتعارض

قليلا مع الكتابة . لأنها حياة . وليست بعد تعبيراً عن الحياة . لكن ما أسعدك انت بهذا ... ! هذا كل ما كنت تتمنى لى : الحياة . نعم يا عزيزى اندريه ... انى غارق فى الحياة والواقع إلى اكثر من أذى . وثق ان التعبير عن هذه الحياة هو مالا أريد الاشتغال به الآن ، حتى لا يقال انى فى وظيفتى القضائية وفى كرسى النيابة انما أقعد على « فوتيل » رقم كذا لأشاهد الحياة مشاهدة النظارة فى قاعات التمثيل . ولن يقول هذا أحد سواك ! وربما مسيو هاب لو علم ! كلا . انى أعيش الحياة وكفى . فلنترك اذن رواية خبرها للمستقبل . ولنسطر أفكارنا العابرة فقط ، تلك الأفكار الفارغة التى لا بد منها ملء رسائلنا . على ان هذه الأفكار قد ذهبت عنى الآن أيضا . ولم يبق منها ما يستحق ان أبعث به إليك . فاعذرنى إذا القيت على الورق بكل ما يمر برأسى من خواطر ...

...

أندريه ! يجب ان تعلم ان نافذة حجرتي تشرف
على ميدان « الساعة » . ولكي تعرف اهمية هذا
الميدان يكفي أن أخبرك انه في طنطا بمثابة ميدان
« الكونسكورد » في باريس . . . ومع ذلك فانه
ليخجلاني ان أصف لك ما تقع عليه عيني وسط هذا
الميدان . لست أعنى البشاعة الفنية التي تقوم عليها
تلك الساعة الكبيرة . . فما لا ريب فيه انه لم يرد في
خاطر أحد أن يقيم في ذلك المكان شيئا فنيا علي
الاطلاق . بشعا كان او غير بشع . انما الذي أعنيه
هو انعدام كل ذوق وزوال كل لياقة . . . فقد أنشأوا
وسط الخضرة المغروسة في قاب الميدان بناء ظاهرا
وهيكلا بارزا ، يكاد يشمخ على غيره من المباني بجلال
موقعه . . . أتدري ما هذا البناء ؟ انه ليس أثرا تاريخيا ،
ولا نصبا تذكاريا ، ولا معبدا فنيا : انه مرحاض

عمومى ! .. ومع ذلك فلا تنس اننا نحن الذين أهدينا
إليكم تلك المسئلة الرائعة التى عرفتم قدرها فاخترتم لها
أرحب مكان فى صدر باريس : وهو ميدان
« الكونكوردي » ! .. ثقب ان لدينا من أمثال هذه
المسئلة عددا كبيرا ملقى هنا وهناك فى الرمال ...
ولكنهم عندنا يفضلون المراحيض ... لأنها فى
نظرهم أنفع على الأقل وأجدى ...

آه يا اندريه ! كل يوم تبرهن لى الظروف
على أنى كلما دنوت من منطقة الفن والفكر فى مصر
أصاب بخيبة أمل ! .. ان روح الجمال والفن لم يحل
بعد أو على الأصح لم يبعث من جديد فى أرض مصر
الحديثة . من المسئول عن قتل روح الفن فى مصر
وقد كانت هى منبع الفن منذ القدم ؟ انى لست من
رأى القائلين ان العرب هم المسئولون . ان العرب

ليسوا بيهادى حضارات . انهم طافوا بمدنيات زمانهم
ياخذون وينبذون ، ويتخيرون ويتركون ... ولكنهم
ما هدموا قط وما حطموا . ان المستول هم المغول ...
ذلك الجنس القادم من اواسط اسيا بلا حضارة ولا
مدنية ولا مزينة غير مزينة الحرب والضرب . اولئك
هم الذين حطموا المدنية الاسلامية بما جمعته ونقلته
وصقلته من مختلف الحضارات . ان مجرد الاطلاع
على تاريخ مصر فى تلك الحقبة المظلمة التى وصفها
« الجبرتى » ليكفيها أن نرى إلى أى درك هوت
بلادنا المسكينة . بل ان لغة الجبرتى فى ذاتها . وقد
كان من خيرة علماء الأزهر وقتئذ ، لأنصع دليل
على أن اللغة العربية نفسها قد سقطت فيما سقطت تحت
سنانك جياد اولئك البرابرة ! .. وخرجنا من هذا
الظلام كما خرجت أوروبا من القرون الوسطى . هى
ارتمت فى أحضان الاغريق وارتمينا نحن فى أحضان

العرب . وهي سارت في عصر النهضة من التقليد إلى
التجديد . ونحن لم نزل في طور التقليد . ولعل هذا
يفسر لك أسلوب « المويلحي » الذي حدثتك عنه
ذات مرة . على أن هناك بوادر كما قلت لك ، ولا أكثر
من بوادر ، تدل على أننا بدأنا نتحرك نحو عصر
نهضتنا . ولكن السير الجدى نحو هذه النهضة
يتوقف على ثقافة القارئ بها . فنحن نعيش اليوم في
عصر حضارة عظيمة . هي الحضارة الأوروبية . فأى
جهل منا بفرع من فروع هذه الحضارة منناه التخلف
والقعود . ان روح الحضارة الإسلامية الحقيقى كان
الطموح إلى الامام على قدر الامكان بكل الأفكار
والمعارف والعلوم والفنون الشائعة في الحضارات
المعاصرة لها . ومما لا شك فيه عندى انه لو لم يكن
المغول لما تخلفت الآداب العربية والفنون الإسلامية
عن نظائرها في الحضارة الأوروبية القاءة . لأن

التبادل الفكري كان دائماً قائماً بين حضارة الاسلام
والحضارات الأخرى . وان من السهل أن نتصور
المجرى الطبيعي للمدنية الاسلامية إذا استبعدنا الخطر
المغولي . لقد كان فلاسفة العرب متصلين بأوروبا .
وكانت عقلية العلماء والأدباء في الممالك العربية متفتحة
لتقبل كل تطور تأتي به روح العصور التي يعيشون
فيها . فما كان هناك سبب قط يدعو التفكير العربي
إلى التخلف عن أي تفكير معاصر يتطور ويتجدد .
فاما أن يسير في موازاته : واما أن يأخذ منه ويعطى ،
ويؤثر فيه ويتأثر به : ويحدث بينهما ما يحدث الآن
بين التفكير اللاتيني والتفكير السكسوني من
تفاعل وتداخل وتعايق وتزامن ... فاذا أردنا القيام
بمصر نهضتنا جدياً فعلينا التشجيع بهذه الروح . أما
ان نظن النهضة في مجرد تقليد العرب بالحالة التي وقفوا
عندها يوم انهيارهم أمام المغول ، دون أن نلقي بالآ إلى

القرون والأجيال التي انطوت وذهبت وفصلت
ذلك العهد عن عهدنا الحاضر بما استجد فيه من علوم
وفنون وأساليب حديثة ، فهو حمق وعمى وجهل لو
اطلع عليه العرب الأقدمون أنفسهم لسخروا منه
ومنا ... من أجل ذلك كان الشرط الأول ، في نظري ،
هو الثقافة التامة ... نعم : ينبغي لنهضة رجال من طراز
رجال عصر النهضة في أوروبا : رجال موسوعيون
يحيطون بكل ثمرات الذهن ونتاج العبقريّة في الحضارة
المعاصرة لهم والحضارات السابقة عليهم ولكن مع
الأسف ... أغلب رجال الفكر والأدب عندنا
لا يريدون أن يلموا بأكثر من المادة اللفظية
التي تمكنهم من تدبيج المقالات التي يحتذون فيها
النماذج العربية القديمة . تصور ان كاتباً مثل «المويلحي»
نرح إلى أوروبا هو الآخر مثل كثيرين من أدباء
عصره ... لكن عبثاً نحاول أن نلمح في آثاره أو

آثارهم ما ينم عن معرفة أو تذوق لفنون أوروبا .
انى لا تساءل : أ كانوا يسIRON هناك معصوبى الرأس
لا يبصرون ولا يسمعون ؟ ! .. ما الذى كان يصعد
عيونهم عن آداب تلك الأمم الحية وهى معروضة فى
الطرق تصيح من واجهات المكتبات ؟ ! .
وما الذى كان ينم أرواحهم فلا يفتنون إلى جمال
الهيكل وآثار الفن . القائمة هناك فى كل مكان ،
تكاد تصفع بسحرها البصائر والأبصار .. ولا
تدع ذا فهم وذوق حتى تبعث فيه النشاط إلى الاطلاع
والاعتراف من كل ينبوع من ينابيع الفكر والروح .
يخيل إلى ان « الحربرى » نفسه لو بعث من قبره
ووضع هناك لما طال به الأمد عن التنبه والتفطن
والانتماش والانتفاع بكل ما ينبض حوله من مظاهر
الحضارة الحية القائمة . ان العرب كانوا ذوى يقظة
وفطنة وإحساس وتأثر بكل ما جاورهم وعاصروهم من

مدنيات . ان أدباء هذا العصر لمن طراز غريب .
 إنهم لا يمكن أن ينسبوا إلى العرب . حتى وان
 أجادوا تقليد أساليبهم . انهم في رأي طراز قد طعم
 بالروح المغولى . ذلك الجنس الذى يقلد ولا يبتكر ،
 ويسيطر ولا يبصر . ذلك الجنس الذى استطاع أن
 يبلغ اسوار « فينسا » . ويتوغل في اوربا دون أن
 يرى شيئا من تقدمها الذهنى . ودون أن ينتفع بشيء
 من حضارتها الفكرية . كل مجد المغول في الحرب .
 وكل فهم تقليد بعض ما وقع في أيديهم من الأساليب
 العربية تقليدا ضيقا . وكل فكرهم حفظ بعض
 النصوص الاسلامية حفظا مغلقا . . . وهكذا ورث .
 تلك العقلية المغولية أدباء العربية في هذا القرن . فلم
 يروا شيئا ولم ينتفعوا بشيء غير ذلك . ولم يخرجوا
 عن نطاق تلك الدائرة المقفلة . حتى الفكر الاغريقى
 الذى اتصل به العرب وتفقهوا فيه وكشفوا للعالم عن

مصراميه ... هو أجنبي عنهم . ومن باب أولى الأدب
الاغريقى وهو أعقد من الفلسفة الاغريقية وأعسر ،
لأنه متصل بالفنون الأخرى اتصالاً وثيقاً . خذ
المآسى الاغريقية مثلاً . محال ان ينفذ إلى لبها وروحها
من ليست له دراية ، لافلسفة الاغريق وحدها ،
بل بكل أساطيرهم وفنونهم من النحت إلى الرسم
على الأوانى . لا أمل لنا كما ترى فى تجديد الأدب
العربى إلا بالاطلاع الواسع والثقافة الشاملة . إن
تربية أهل الأدب فى مصر حتى مطلع هذا العصر
هى تربية لغوية . قوامها الكتب . ثقافتهم الكتب
وحدها . بها نشأوا وعليها وحدها اعتمدوا فى تكوين
ملكة الانتاج . هل يمكن أن نجد كاتباً اوروبياً يعتمد
فى تكوين ملكاته الخالقة على الكتب وحدها ؟ ..
هل يوجد أولاً مثل هذا الكاتب فى اوروبا ؟ وإذا
وجد هل يستطيع أن ينتج هذا الانتاج الذى نراه

يرتكز على فن متين التركيب أصيل التفكير . ان
التربية الكاملة الشاملة لمختلف الفنون منذ الصغر
هى التى تنمى عند الأديب الأوروبى ذلك الاحساس
بالتناسق الفنى الذى يرفعه إلى هذه المرتبة من مراتب
الخلق والابداع . وإذا سألتنى عما أعنى بالتربية
الكاملة فأنى أقول لك : هى تربية جميع الملكات
والحواس مجتمعة . فتربية ملكة العقل وحدها
لا تكفى عند رجل الأدب والفن ان لم تصاحبها
تربية حاسة البصر وحاسة السمع ... وحتى حاسة الشم
والذوق ... التربية الكاملة للحواس والملكات هو
ما أسميه « الثقافة الكاملة » . لا ينبغي لأديب او فنان
أن يترك حاسة من حواسه هملا بغير تكوين ،
عاطلة لا تؤدى عملا . يجب أن يعلم منذ الصغر ان
لكل حاسة « آداب لغتها » . وان عليه أن يحذق
« آداب اللغات » جميعها لكل حاسة من حواسه .

فكما ان آداب لغة العقل والفسكر تقرأ في الكتب
 والمكتبات . فان آداب لغة العين تشاهد في المتاحف
 والمعارض والهيأكل والآثار الفنية والمناظر الطبيعية .
 وان آداب لغة الأذن توجد في قاعات الموسيقى والتمثيل
 والغناء . وان آداب لغة الشم في العطور الجميلة ...
 ولغة المذاق في المآكل اللذيذة ... الخ ... يجب أن يعلم
الأديب والفنان ان من واجبه ان لا يجهل قط وجود
« الجمال » الاسمى عند كل حاسة من حواسه . وان
هنالك عباقرة قد استطاعوا التعبير عن هذا الجمال ...
وتمكنوا من استخلاصه واستصفائه وصبه في قوالب
فنية رائعة : هي الكتب والصور والتماثيل والمعابد
 والسانفونيات والأوبرات والأناشيد والتمثيلات
 والأشعار والأزهار الخ ... ما للفنون المختلفة آثارها
 الباقية إلا « آداب لغة » كل حاسة من حواسنا .
 فعلينا أن نلم بتاريخ أدب هذه اللغات ، وأن نتذوق

أجل نصوصها في كل ناحية من نواحيها . وأن
لا نقصر التفاتنا على أدب دون أدب . فنظن الجمال
في آداب لغة العقل وحدها ، أو آداب لغة الفكر ...
انما يجب أن نعلم ان لكل حاسة عوالم من الجمال
لانهاية لها ... وانه ينبغي لنا ، إذا أردنا الارتفاع
بآدميتنا . أن نسمو إلى تلك العوالم وأن نجوس في
أرجائها الواسعة ، مهتدين بقيادة عظماء الفنون الذين
طافوا بها قبلنا واستكشفوا قممها وغاصوا على
كنوزها .. نعم ... لكل حاسة وملاحة صحائفها
الرائعات في تاريخ العبقريّة الانسانية الخالقة ، ولا بد
من الاطلاع عليها جميعا لمن يريد أن يضع يده على
اسرار الخلق في الأدب والفن ... تلك هي التربية
الكاملة والثقافة الشاملة التي أراها ضرورية لأدباء
عصر النهضة . وإذا كان الأدب العربي في هذا القرن
واقفا عند تلك المرحلة البدائية ، فذلك لأن أكثر

الأدباء لم يتلقوا بعد هذه التربية الكاملة التي تؤهلهم
لتحمل أعباء الخلق الفنى الكامل ...

...

البارحة كنت فى القاهرة وحضرت حفلة غناء
شرقية . فرأيت عجبا .. الحاضرون هم ولا شك من
أهل القرن العشرين . ولكن الموسيقى هى من غير
شك موسيقى القرن العاشر ! ..

...

أخفيت عنك يا اندريه انى كتبت منذ عام وأنا
فى الاسكندرية شيئا كالقصة التمثيلية . بنيت على سورة
من « القرآن » ... وجرفتنى المشاغل فتركت هذا
العمل فى حقبة لى . وكدت أنساه . لو لم أفتح الحقيبة
عفوا منذ أسبوع ... قرأته أو على الأصح قرأت
حوار البطل والبطلة . وكانت إحدى مقطوعات
« بيرجنت » لأيسن فى موسيقى « ادوار جريج »

الجميلة تتصاعد من الجراموفون ... يا للمفاجأة ! .. ؟
أنا الذى كتب هذا المنظر ؟ لقد غمرنى يا اندريه
جو شعرى . لست أدري بعد أمبعثه القصة أم
الموسيقى . لقد تأثرت حقاً من هذا الحوار الغرامى !
لأول مرة أثأثر لشيء ، خطته يدي . حينذا لو أستطيع
أن أترجم لك هذا المشهد ، لترى معى هل أنا واثم أو
مصيب ؟ .. أما بقية العمل فلم أجد فيه ، للأسف ،
ما هز نفسى ... مـ

طنطا في ٨ يوليو . . .

عزيزى اندريه

ما أعظم سرورى برسالتك التى جاءتني على غير
انتظار . فكم طال بنا الصمت . وبى رغبة شديدة فى
طول الحديث معك . ولكنك تغيرت قليلا يا اندريه ،
وانك مشيت صحائفك وندرت رسائلك مما يندرنى
بشر مستطير ! عهدي بك سيال القلم . ولا شك
لديك ما تقول لى وتمسكه عنى قسوة منك . ألا قاتل
الله صحبتك ! أما قولك انك بدأت تكتب فوجدت
الرسائل سخيقة فأثرت السكوت . فهو عذر لا يبيديه
مثلثك لمثلي . ألا تخجل ؟ انى لا أطلب إليك أن تقوم

بانشاء رسالة بالمعنى الأدبى للكلمة . واعلى كنت
كذلك ذات يوم ولم يشفى من ذلك الداء غير
مصارحتك اياى يوما بأن بعض رسائلنى تنفعك
« لف » الحوائج الصغيرة من أضرار قصان إلى مواسى
حلاقة ! اذن ما معنى كلمة السخف عندك ، انت الذى
لا يعجبني منه سوى رسائله التى لا معنى لها ،
وصفحاته التى يخاط فيها الحابل بالنابل . ولا يتخرج
أن يستعمل ألفاظ « أباش » مونمارتر وأوباش مرسيليا !
انه ظلم . اقسم انه الظلم بعينه : أن أكتب إليك أنا
كل هذه الرسائل ، مع ما أنا واقع فيه من عمل
مهلك . ان مجرد وصف عملى ومقداره خصوصاً فى
فصل الصيف ليجتاج إلى أفراد رسالة طويلة .
تصور انى أعمل بدل ثلاثة من الزملاء . إذ ليس لى
أجازة هذا العام . أو الأصح انى نزلت عنها الآخرين
شهامة منى أو حماقة . البرنامج اليومى كالآتى :

عمل في دار النيابة من الثامنة صباحا إلى الثالثة بعد
الظهر . ومن الخامسة مساء إلى الثامنة : لتحقيق التابيس
وقضايا المكتب . هذا عدا القيام لضبط الحوادث
اليلية ! نعم ، ذلك ان وكيل النيابة في مصر هو مخلوق
فريد في نوعه في عالم المخلوقات القضائية . فهو يقوم
بعمل النيابة وقاضى التحقيق معاً وفي نفس الوقت ،
بالمعنى المعروف لهذين العاملين المنفصلين في فرنسا
وانجلترا ودول الأرض قاطبة . لذلك ترانى عدا عمل
النهار الشاق أقوم كل ليلة تقريبا لأضرب في
كل طرف من أطراف مديرية الغربية ، حتى ضجبت
بالشكوى مدام « بلانشان » صاحبة البانسيون ،
وضج معها النزلاء . من طرق الخفراء ليلا على الباب
لا يقاظي . وضججت أنا بالطبع وأصابني الأرق
والسهاد ! كل هذا أيضا عدا الجلسات . أتدرى
كم جلسة على حضورها في الأسبوع ؟ أربع

جلسات . وهذا أيضا خلاف الإراد اليومى وهو
لا يقل عن خمسين ملفا تحوى قضايا من كل لون
وصنف : جنح ومخالفات وعوارض وشكاوى ادارية ،
يجب فحصها وقيدھا وتقدمھا للمحكمة أو حفظھا ...
كل ذلك فى يوم ورودھا ! لقد قلتھا ذات مرة
فى صيحة وأنا كاد أجن : ان وظيفة وكيل نيابة
مصرى ھى أشق عمل فى العالم كله .. ولا يستثنى من
ذلك إلا عمل جندى الخنادق فى الحرب العظمى !
ولننتقل إلى حديث الأدب . آه ما أشهى كلمة
«الأدب» بعد كل هذه .. «المرمطة» ! إني لأملك
وقتا لتذكر هذه الكلمة . لكم أعجب الآن إذ كنت
فى يوم من الأيام خاليا إلى حد انفاق الوقت فى تخیل
ما وراء الكتب . كم من الساعات أضعت فى
الجلوس جامدا بمشارب حى «جامبتا» أنظم الأرض
والسماء من جديد ، وأعيد بناء العالم طبقا لتصوراتى

ومثلى العليا . لو كنت أعلم ما ينتظرني ها هنا .. ؟
لو كنت أعرف أن هذا هو المصير لكنت أشبعت
نفسى لهوا ومرحافى باريس . ولاقتصدت فى كل
شئ وأرحت نفسى بعض الراحة من ذلك العناء .
آه لتلك الحمى الخبيثة التى كنت مصابا بها . تلك
الحمى التى أضاعت على كل ما كان يمكن أن يظهر
من صفات طيبة . إلا نشفيت والله الحمد . وهأنت ذا
ترانى شخصا غير متعجل شيئا ، مستسلما للحياة
والقدر . فليصنعابى ما يريدان !

تسألنى عن الرواية التى حدثتك عنها فى رسالتى
السابقة ؟ انها ليست عصرية ولا تاريخية . ولا حتى
قصة تمثيلية حقيقية . بل . . . بل . . . لست أدرى
ربما كانت عملا فنيا يقوم على « الحوار » لا أكثر
ولا أقل . حوار أدبى للقراءة وحدها . فإن وضعها
للتمثيل لم يخطر لى على بال . ان كلمة « التشخيص »

التي عرضتني للاهانة في بدايتي الأدبية ما زالت ترن
في أذني... كلا. . ان هدى اليوم هو أن أجعل للحوار
قيمة أدبية بحجة ليقرا على أنه أدب وفكر . هذا
العمل على كل حال لا يخرج عن كونه Transposition

artistique لسورة قرآنية ترتل في المسجد يوم

الجمعة . على أني لا أكتمك اني ساعة كتبتها لم

أكن تحت تأثير القرآن وحده . بل أيضا تحت تأثير

مصر القديمة . لقد كنت قرأت الكتب الدينية :

كتاب الموني والتوراة والأنجيل الأربعة والقرآن

ان مصر القديمة كلها كانت واقعة تحت سلطان كلمة

واحدة ملكت عليها فكريها وقلبيها وعقائدها

ومشاعرها : البعث . وهي كلمة ذات أربعة أوجه

كالهرم : وجهها الأول : الموت . ووجهها الثاني :

الزمن . ووجهها الثالث : القلب . ووجهها الرابع :

الخلود...

مصر القديمة

المن

هل أنا على حق في تفسير السكتب السماوية
تحت ضوء مصر القديمة ؟ ومن منها أصل الأديان ؟
إذا كانت الأديان السماوية هي الحق ، فلا بد أن
تكون قديمة قدم الحق ، أو على الأقل قدم الانسان .
فالأنبياء اذن لم يخلقوا الحق خلقا بظهورهم . ولكنهم
كشفوا عن وجوده الأزلى . فلا غرابة اذن في
البحث عن منابع الأديان السماوية فيما كان قبلها من
وثنية ، والبحث عن منابع الوثنية في قاب الانسان
من يوم ظهوره على الأرض ...

لو كان المسكين ايفان حياً لناقشنى في كل ذلك
بما يملأ أسفارا ... على أى حال . لا تشغل بالك كثيرا
بروايتى هذه . فهي ليست عملا ذا بال . ولا أحسبها
تمتاز عن مخطوطاتى السابقة في كثير أو قليل . إلا
أن تكون هي أول عمل أردت أن أستوحى فيه
« القرآن » كما أردت قبل ذلك استهام « الف ليلة

وليلة « و » المجتمع « المصرى قبيل الثورة ... الخ ...
وبعد . فما من جديد فى حياتى هنا ، على أنى لا أريد
أن أختتم هذه الرسالة قبل أن أخبرك أنى سعيد
لتشرفى بمعرفة « موزار » معرفة أوثق عرى من تلك
المعرفة السريعة العابرة التى بدأت فى باريس . فلقد
هبط « البانسيون » رجل انجليزى من نوع Bidlake
أو Burlap فى قصة هكسلى : وأتى معى « نالبوم »
اسطوانات السانفونيات رقم ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و « سوناتا »
رقم ١٠ فسرعان ما تعارفنا بالطبع ... وصرنا نتبادل
الاسطوانات . أنا أعيره ينتهوفن وهو يعيرنى
موزارت . آه أى جمال وأى سعادة أن تعيش بجوار
هذا الطفل الآلهى : موزار ! .. م

طنطا في . . .

عزى اندريه

مضت شهور ولم أتلق منك كلمة واحدة . ماذا
بك ؟ ماذا حدث لك ؟ انى مع ذلك لا أستطيع أن
أكف عن الكتابة إليك . إلى من غيرك أفضى
بهواجسى . أريد أن أتنفس وأتكلم وأجد انسانا
يصغى إلى حديثى . إلى ذلك النوع من الحديث الذى
لا أجرؤ على الإشارة إليه فى بيئتى القضائية . الويل
لرجل القضاء الذى يستكشف زملاؤه فيه انه أديب .
ان لنا مجلسا يضمنا كل مساء فى قهوة نظيفة فلا
نتحدث فى غير تصرفاتنا اليومية فى القضايا . فمن

ظهرت عليه بوادر الفكر في حديثه أو عوارض
الفلسفة في خواطره حلقوا فيه ثم نهامسوا « اتركوه
هذا أديب ... سامحوه هذا فيلسوف .. » وذكروها
له وعدوه بعد ذلك ممن لا يوثق في تقديراتهم أو
تصرفاتهم القانونية . فاذا لم يجدوا مطعنا في عمله فهم
على الأقل متبرمون به وبحديثه . ولن أنسى ذلك
الزميل الفاضل قاضي المحكمة الكلية الذي كان مشغوقاً
بالتاريخ الاسلامي ... وعلى الأخص تاريخ الفاطميين .
لقد كان في الواقع واسع الاطلاع فيه .. طلى الرواية
له . فلم يتركه زملاؤه يتحدث في هذا الموضوع قليلا
حتى انصرفوا عنه . وصاروا بعد ذلك كلما أقبل عليهم
هذا الزميل نهضوا منهامسين : « هلموا بنا ...
هلموا بنا ... صاحب الفاطميين حضر ! » فما كان
يمسك في استقباله والاستماع إليه غيرى أنا . فلقد
كنت حقاً أجد عنده حديثاً يسرني ويلذ لي ..

وتكرر هذا الأمر حتى كدت انهم انا أيضا ويزدكر
اسمى معه فى معرض التندر والسخرية ! .. وجاء يوم
كادت تقع فيه كارثة : فلقد هبط المدينة قاض كان
من زملاء دراستى بمدرسة الحقوق فى القاهرة . وقيد
اسمه معنى بجدول المحامين فى يوم واحد ... وشهد
انصرافى بعدئذ إلى التأليف المسرحى . وحضر تمثيل
بعض رواياتى ... فما كاد يرانى بين الحاضرين فى
المجلس حتى اتخذ مكانه بجوارى .. وهو يصيح بى :
« اين انت واين ليالىك ورواياتك التى كانت منذ
عشرة أعوام تملاً المسارح ! » فخلق فيه رئيس
المحكمة ورئيس النيابة وكانا - لسوء حظى - بين
الحاضرين ... وقالوا : « يعنى ايه ؟ ! كان فى التشخيص ؟ ! »
فغمزت صاحبى .. فنظر إلى ورأى فى عيني آيات
التوسل والألم والضراعة . ففهم الموقف وأدرك غلطته
وحاول اصلاحها قائلاً : « لا .. قصدى انه كان يميل

إلى مشاهدة التمثيل فى ليالى الفراغ .. ثم انفردت
به أفهمه ان ذلك الماضى قد دفن . وانى الآن من
أعضاء الأسرة القضائية المشهود لهم بحسن السمعة .
فياك ان تلصق بى كلمة « أدب » او كلمة « فن » او
حتى كلمة « فلسفة » .. ! أرايت يا اندريه فى اى عالم
اعيش الآن ؟ هل كنت تصدق ان ذلك يحدث
لى ؟ ... أدركت الآن مقدار حاجتى إليك وإلى
الهمس بالحديث معك من خلال قضبان حياتى
الحاضرة . ؟ ! اكتب إلى ... اكتب إلى ...
اخبرنى بأحوالك كلها ... كيف حال « جرمين » ؟
وكيف حال الصغير « جانو » ؟ فى اى مدرسة هو
الآن ؟ انى اتخيله دائماً طفلاً صغيراً يلعب بسيفه
الزائف ومدفعه الصفيح ... ؟

دسوق (غريبة) فى . . .

عزيزى اندريه

وا أسفاه ! .. مضى عام وانا لم ازل فى انتظار
رد منك . رد صغير ينبئنى بأن الحبل بيننا لم ينقطع
يظهر انه انقطع .. ذلك الحبل الذى كان يربط احدنا
إلى الآخر ونحن هائمان فى جليد ذلك القطب « الفكرى »
المرتفع ! .. ترى اين انت الآن ؟ اتركتنى وحدى
وذهبت عائدا إلى المجتمع ؟ .. هل فعلت ذلك ؟ اما
انا فانى أقاوم ... اقاوم بكل ما لدى من قوة وعزم ...
انى اكتب إليك الآن من مدينة صغيرة على النيل ..
تدعى « دسوق » . هى مع ذلك مركز من أهم

مراكز القطر . لقد اسندوا إلى أعمال نيابتها .
فوجدت نفسى أمام عمل هائل من الكثرة والخطورة .
ان قاضى المحكمة لا يقيم فى المدينة .. فهو يحضر
جلستيه ويذهب . وبهذا صرت أنا الرئيس المسئول
عن شئون النيابة والمحكمة معاً ... لقد تبين لى بعد
أسابيع قليلة انى أنا الرئيس المتصرف فى هذه المدينة
كلها . فالبوليس والادارة والصحة والهندسة والرى
والزراعة .. وكل فروع الحكومة المختلفة تصب
مشاكلها بين يدى .. حتى فيما لا يقع تحت طائلة
القانون وما يكتفى فيه بالنصح والارشاد والمصالحة
والتوفيق وقرار النظام بالحسنى ... كل ذلك يحتاج
إلى رأى ولعلمتى فيه المقام الأول ... لقد شعرت
حقاً بعبء المسؤولية .. فدفعنى ذلك إلى العمل
المضنى ... لقد وضعت نظاماً دقيقاً للعمل لا انحرف
عنه قيد شعرة . انى أعمل نهارى كله .. من الصباح

حتى الثانية بعد الظهر .. ومن الرابعة حتى السابعة ..
فأخرج للنزهة ساعة فوق جسر النيل ... تلك هي
الساعة التي تسمح لي فيها تبعاتي أن أتحرر قليلا
لأعود إلى نفسي وذكرياتي .. في تلك الساعة الهادئة
أسير وحدي فوق الجسر أتأمل الأمواج في اصطفاقها
الخافت ... فتلعب في رأسي الأفكار القديمة من
جديد ... أفكار الفن والأدب .. فالتفت حولي
حرصاً عليها من مفاجيء .. فلا أبصر غير الخفير
النظامي يحمل بندقيته ويتبعني عن بعد .. ليبلغني بما
يرد من اشارات مستعجلة .. حتى إذا خيم الظلام
عدت إلى مسكني فتناولت العشاء ثم نظرت في بعض
ملفات القضايا .. ثم آويت إلى فراشي في انتظار
ازعاجي نصف الليل ببلاغ عن وقوع جنابة .. لقد
أحصيت عدد الليالي التي انتقل فيها إلى حوادث
جنائية في هذا المركز .. فاذا هي في المتوسط خمس

ليال .. اى انى لا أظفر بأكثر من ليلتين في
الأسبوع أقضيهما نائماً في فراشى كما ينام الآدميون ..
انى أؤدى واجبي دون تذمر . وانهض باعباء عملى
القضائى بأمانة وهمة واستقامة ألحظ أثرها الحسن فى
مكاتبات الرؤساء الرسمية . انهم يشقون فى تصرفاتى
ثقة تملؤنى فخراً . هل كنت يا اندريه تتوقع نجاحى
كوكيل نيابة ؟ ولا انا ما كنت أتوقع لنفسى ذلك .
لقد ثبت لى انى رجل أمين لا يعرف الغش فى شروط
اللعب . انى فى الفن كنت الفوضى بعينها . ولكنى
فى عمل القضاء انا النظام بعينه . بل انى مبالغته فى
الغيرة على سمعة هذا المنصب لا أختلط بالأعيان ولا
برجال الادارة ولا بأى شخص أكثر من الاختلاط
الذى يدعو اليه العمل الرسمى .. لطالما سمعت بأخبار
زملاء قضائيين - لم يتصلوا يوماً بفن ولا بفنانين -
ومع ذلك لم يبالوا ، فكانت لهم فى مرا كز أعمالهم

سهرات « بوهيمية » ومغامرات نسائية .. تركت
أثرا في صحائف خدمتهم لا يمحي . أما أنا فصحيفتى
نقية بيضاء .. ولقد التقيت ذات مرة بالنائب العام
فقال لى انه يعدنى من خيرة وكلائه عملا واستقامة
وسمعة . فأنا اذن يا اندريه كما ترى ... أسير بخطى
ثابتة نحو الاطار النهائى الذى يريد أن يجلسنى فيه
المجتمع .. ماذابقى لى من الفن والفنان بقمعته السوداء
ذات الاطار العريض ؟ ! .. كنت منذ أشهر بالقاهرة
فقابلنى أحد زملاء الدراسة يشغل الآن بالتجارة ،
ولا يعرف من أمرى شيئا .. فما ان تفرس فى وجهى
وهيئتى حتى قال لى : « ماذا تعمل فى الحياة ؟ لا بد
انك من رجال القضاء ؟ ! » فدهشت وسألته :
« كيف عرفت ؟ » فقال لى : « شكلك وهيئتك
وسياؤك » ! .. عجيبا .. أهكذا المهنة قد طبعتنى
بطابعها .. ورن عندئذ فى أذنى صوت : « ايما دوران »

يوم قابلتني أول مرة وتفرست في وجهي قائلة لى :
« ماذا تعمل ؟ لا بد انك فنان فى مونمارتر ! » ..
وا أسفاه ! .. مات ذلك الفنان .. وحلت روحه فى
جسد رجل قانون ! .. أترى الفنان يا أندريه يبعث
من موته يوما ؟ .. ولكن كيف ؟ كيف يحدث لى
ذلك ها هنا .. كيف يحدث ذلك لقضائى منظور
إليه نظرة الرضا والاحترام .. كيف السبيل إلى
الفن الآن .. والمجتمع كما ترى قد هيمأ لى مكانا فى
أحضانها لا أستطيع منه فككا ... أندريه ...
أندريه ... أخشى أن يحطمنى المجتمع ... يحطم الفنان
فى ... ربما كان قد حطمنى وكسرنى ... ولكنى
أقوم ... منذ أسابيع وأنا ألقى من أهلى خطابات
يفروننى فيها بالزواج .. ويدكرون لى أسماء لأمعة فى
الثروة والجاه .. ويهتموننى بالحق والغفلة والعتة إذا
خامرتنى فكرة الرفض ... ويظهر ان كل شىء قد

أعد . وان أصحاب هذه الأسماء قد قبلوا . فالمناصب
القضائية - شأنها في مصر شأن فرنسا - مزيتها
الكبرى هي سعرها الممتاز في سوق الزواج . فماذا
تقول في ذلك ؟ انهم ينتظرون قبولى .. يكفى يا اندريه
أن ألفظ كلمة « نعم » ليضع المجتمع اصفاده في يدي
الأخرى الطليقة ، ويجرني نهائيا إلى المصير المحتوم .
لقد قلت لهم « لا » بأعلى صوتي .. وشم مشدوهون
لا يرفون السبب . « لا » ... تلك هي الصيحة
الأولى لمقاومتى اليأس .. يجب أن أقوم وأن أجاهد ..
أليس كذلك يا اندريه . أأرضى ان تطوينى الحياة
وترغمنى على مالا أريد .. فيم كان اذن جهادى الطويل
فى سبيل الفن ؟ فيم كانت الأعوام الطوال التى
أنفقتها قراءة واطلاعاً وتحصيلا وتسكينا وممارسة
لألوان الفن وأنواع العلم وفروع المعرفة .. لقد اردت
ان اكون كاتباً وسأكون .. ولكن كيف

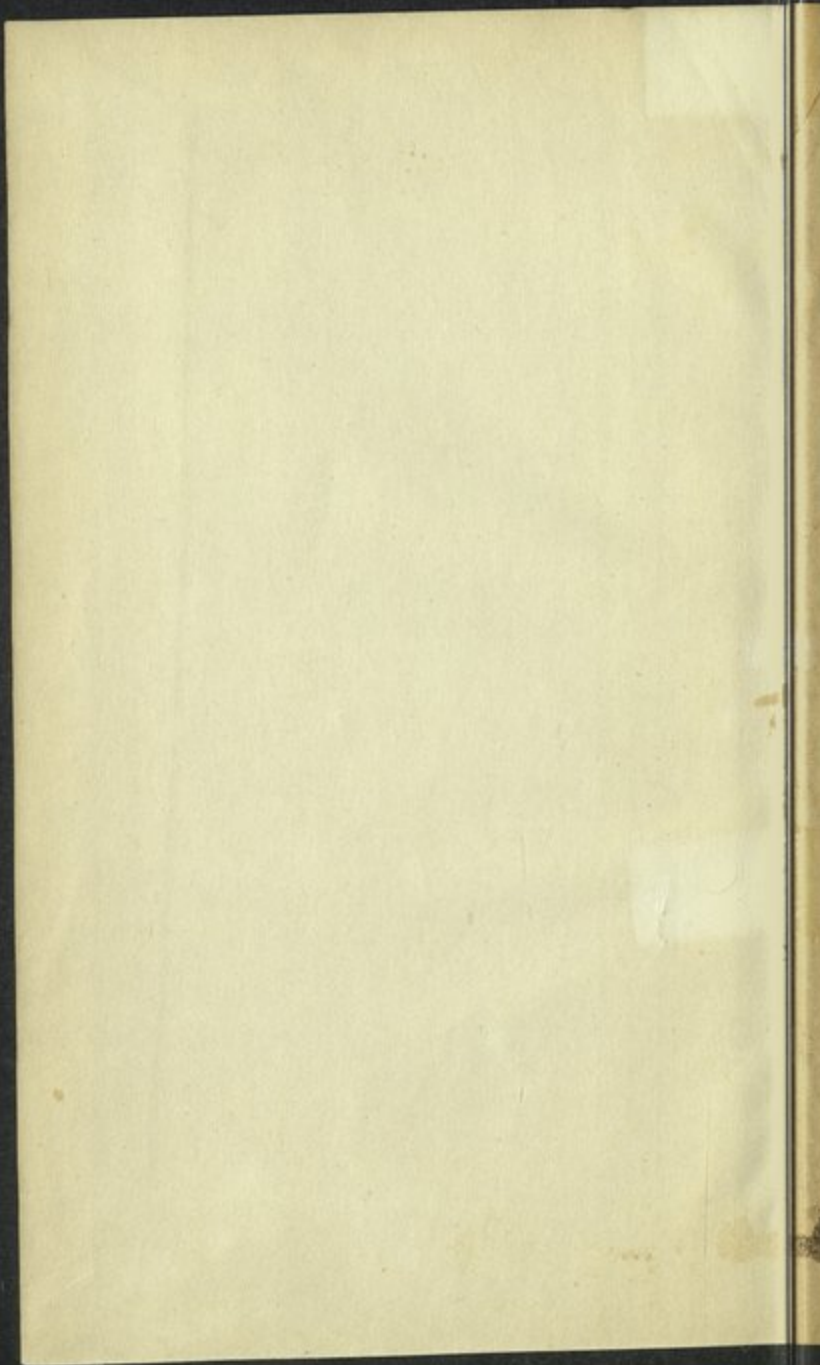
يا صديقي اندريه . ؟ انى أخط إليك هذا السؤال
بصوت مرتفع فى سكون هذا الليل .. تحت هذا
المصباح الضئيل المستيقظ انتظارا لجرائم الناس .
كيف السبيل يا اندريه ؟ انك تعلم انى عملت
وجهدت لامتلاك ناصية فنى .. ولم اكتف بيدايتى
الأولى منذ عشر سنوات .. فتناسيتها ... وانطلقت
من جديد أكتب وامزق وأكتب وامزق ..
ولم يسلم من التمزيق اخيرا سوى تلك المخطوطات
التي حدثتك عنها .. اظن انى قد أعددت نفسى
اعدادا كافيا .. واظن انى قد جاوزت السن التي
يحسن فيها بأديب او فنان ان يظهر نهائيا ليغرس
قدمه فى ميدان فنه . ويعرض ثماره على اهل وطنه ..
ولسكن مع ذلك .. أنا فى شك يا اندريه . من ادر انى
ان فنى يستحق النشر الآن ؟ لم لا تقول انى متسرع .
لطالما تسرعت من قبل . الا يحسن بنا التريث ؟ قد

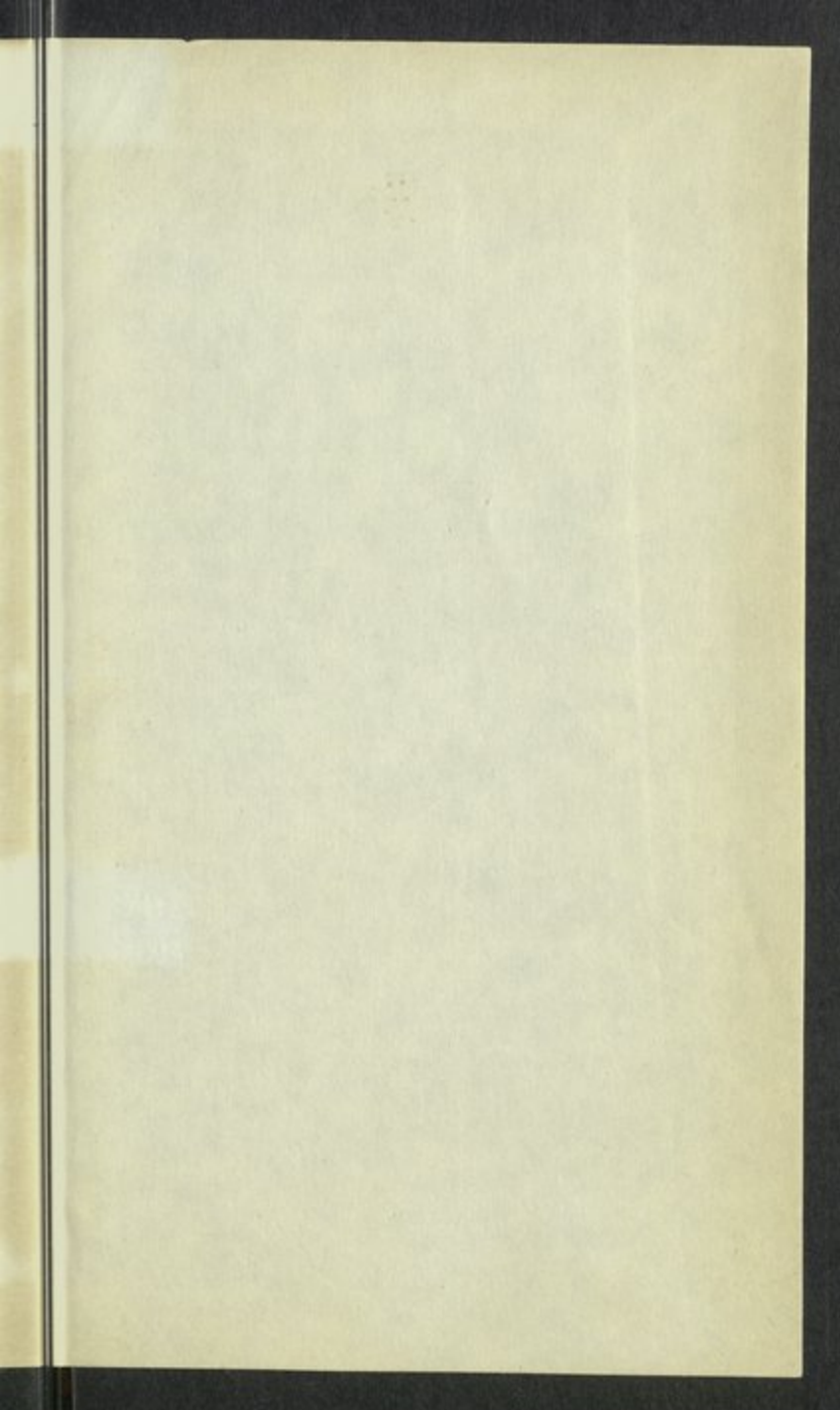
تسألني الى متى ؟ لست ادرى الى متى . ان الفن حقا
طويل . وإذا تريت اكثر من ذلك فساظل طول
حياتي اريت واتشكك .. ولكن من جهة اخرى
إذا اخرجت للناس شيئا نافعا فماذا يكون جوابك ؟
ان الانتظار الى آخر العمر لا يهون على نفسى الآن
من اخراج عمل فنى ناقص . انى لم اعد الشاب
الطائش الذى كنت تعرفه فى باريس ... انى الآن
أكره العجلة . وابغض النشر لمجرد النشر . واقدس
الفن حقيقة . وانزه اى عمل فنى عن الظهور مادمت
ارتاب فى أمره . بعض الارتياح .. كلا .. فلنبق كما
نحن يا سيدى . وحسبى ان انظر فى مخطوطاتى
من حين إلى حين .. لأستخرج فى كل مرة نقصا
جديدا . قد تدهش إذا قلت لك انى صححت وعدلت
وبدلت فى كل مخطوطة . وقت « بتبييضها » ونسخها
بنفسى اكثر من أربع مرات . اجل يا اندريه .

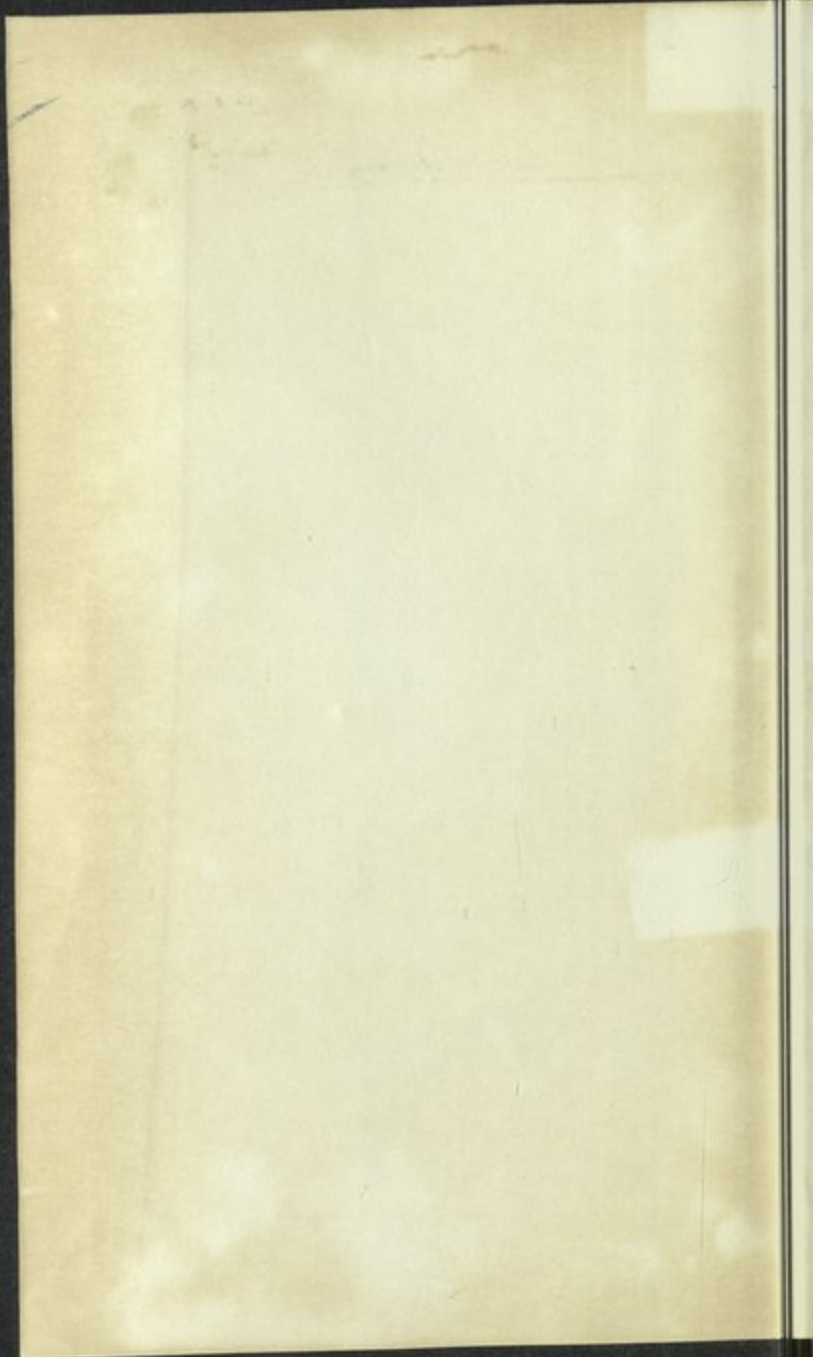
لكل مخطوطة عندى كبرت او صغرت أربع نسخ
version مختلفة بخط يدى .. على أننا إذا طرحنا جانباً
مسألة النضج الفنى لعملى وهل تم قليلاً او لو يتم ؟ ..
ومسألة الاقدام او التريث وأيهما الأصوب ؟ ومسألة
الثقة او الارتياح وإيهما الأرجح . فان هنالك
مسألة أخرى يجب ان لا تغيب عن خاطرنا : المجتمع
الذى حولى الآن .. كيف السبيل إلى الخروج
من إطارى القضائى ؟ . كيف أنشر فنا دون أن
اتعرض لسخرية الزملاء وخيبة أمل النائب العام
وفجيرة الأهل والخلصاء ... آه يا اندريه معذرة ! ..
انى افكر الآن تفكيراً سخيلاً ... هذا كلام غير
خليق بفنان ! .. ولكن هل أنا فنان ؟ .. أتراها
القبعة السوداء هى التى كانت تملأ رأسى بهذه
الأوهام ! لقد خلعتها كما تعلم منذ زمن بعيد ..
وها انذا اليوم اتشح بالوسام الأحمر الأخضر ..

ولم أعد اسمع احدا ينعتنى بالفن .. ربما قلت لى :
يكفى ان تصغى إلى الصوت الصاعد من أعماق
نفسك ! .. أجل يا اندريه .. ولكن نفسى الآن
ينخر فيها الشك . وما عدت اصدق لها كلاما ؟ ..
واخجلاء ! .. لست ادرى كيف يتكلم هذا
الكلام رجل يتشبث بالفن .. حقاً .. يجب ان
أومن بالفن ... الايمان بالفن هو « التعويذة »
التي تفتح لى الطريق .. انى أومن بأبولون .. أومن
بأبولون إله الفن الذى عفرت جبينى أعواماً فى
تراب هيكله ... انه ليعلم كم جاهدت من أجله
وكم كافحت وناضلت وكددت ! باسمه أخوض
المركة الكبرى وأنزل كل مجتمع وكل حياة وكل
عقبة تحول بينى وبين فنى الذى منحته زهرة أياى
التي لن تعود ... ؟

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لہ







الحكيم، توفيق،

زهرة العمر

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01040590

